رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

منارات
manarat

العدد (2443) السنة التاسعة - الاربعاء (4) نيسان 2012

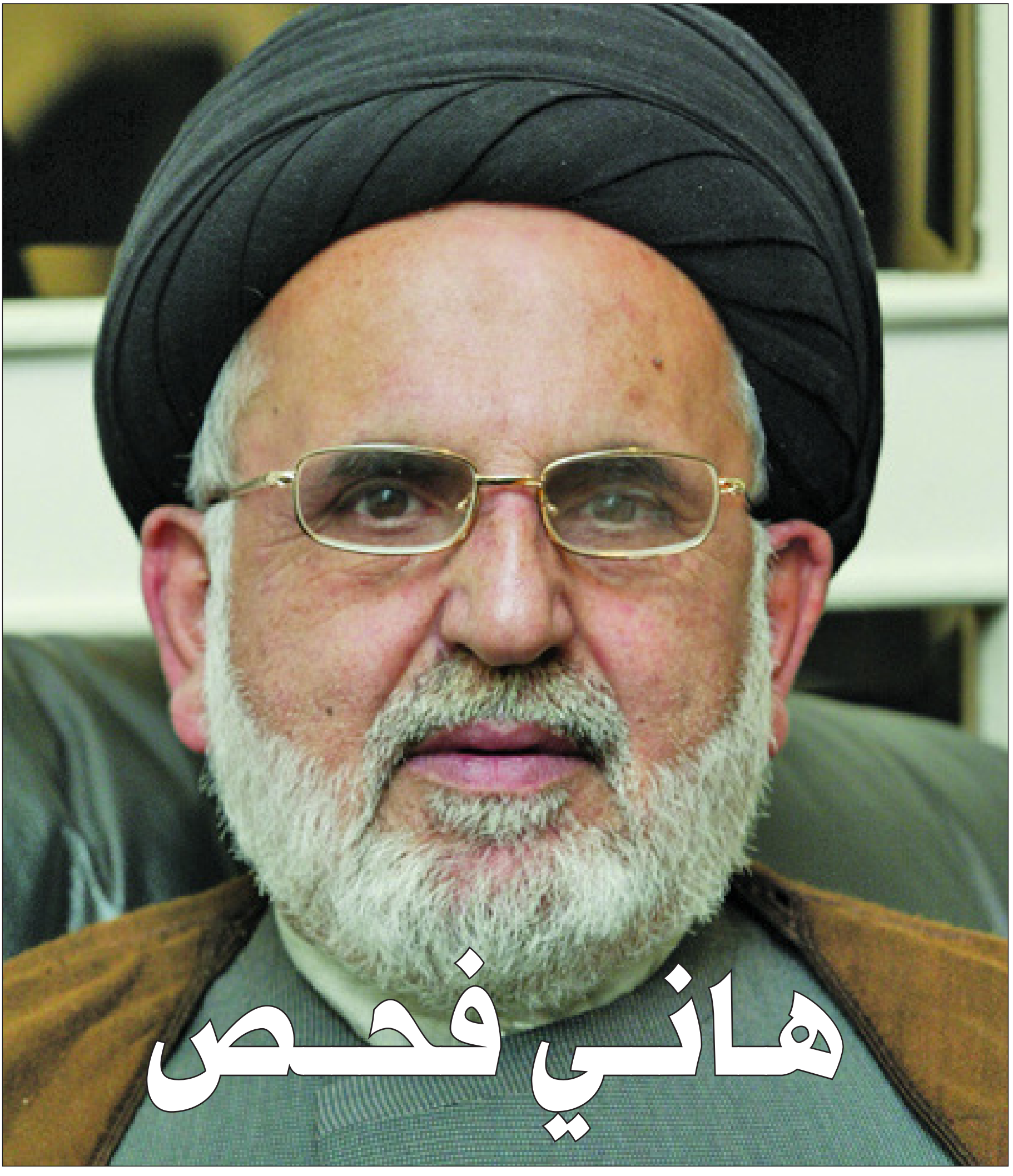

هاني فحص

بورتريه هاني فحص بقلم هاني فحص

الى النجف، من الادب والشعر الى الفقه، من الثورة الايرانية الى حركة فتح، ومن المؤتمر الدائم للحوار اللبناني الى المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى. هذا هو السيد هاني فحص.
ومن هو اقرب من السيد الى نفسه لكي يرسم اهم محطات حياته.
ما يلي سيرة ذاتية للسيد هاني فحص وفق ما نصها قلمه
هاني مصطفى فحص، مواليد جبشيت (النبطية) عام ١٩٤٦، تلقى الدراسة الإبتدائية في القرية والمتوسطة في مدينة النبطية والثانوية بالإنتساب.
هاجر الى النجف (العراق) طالباً في حوزتها الدينية عام ١٩٦٣، ودرس العلوم الحوزية على يد عدد من كبار الأساتذة.
والتحق بكلية الفقه حيث حاز شهادة البكالوريوس في عدد من المجالات واشرف لمدة سنة على مجلة (النجف).
كان في النجف ضمن مجموعة حاولت ان تنفتح معرفياً على حقول علمية مختلفة وعلى الحداثة عموما وتتعاطى الأسئلة التي تجسد القلق المعرفي.
دخل في نقاشات وحوارات وسجالات يومية حول الأدب والشعر الحديث خصوصاً، وكتب في النقد الأدبي كما كتب عدداً من القصص القصيرة.
عاد من النجف مرغماً عام ١٩٧٢ هاربا من نظام البعث الذي كان يضع الناشطين من رجال الدين امام التبعية والإذعان وإما السجن والتعذيب وإما الهجرة.
في لبنان مارس عمله الديني اماما لقريته حتى صيف عام ١٩٥٧ حيث تخلى عن هذا الموقع للمرحوم الشيخ راغب حرب.
اثناء ادائه لدوره الديني لاحظ ان المسجد لا يكفي ما لم ينفتح على الحياة خارجه.
وبناءً على ذلك سعى مع عدد من ادباء وشعراء الجنوب للتعاون في منتدى ادباء الجنوب طموحاً الى تحرير الإبداع الأدبي والشعري من وصاية الأحزاب.
واستمر المنتدى ناشطا مميزاً حتى بداية الأحداث عام ١٩٧٥ حيث قويت جاذبية القطيع السياسي... وفي هذه الأثناء تحديداً في اواخر عام ١٩٧٢ شارك في قيادة انتفاضة مزارعي التبغ المطلبية المحض والتي ما لبثت احزاب اليسار ان سرقتها وسيستها.
في هذه الأثناء اتصلت به قيادات من المعارضة الإيرانية طالبة مشاركته في فعالياتها ضد نظام الشاه.
فاندمج وقدم خدمات اعلامية وسياسية مختلفة. وعندما دخلت الثورة منعطفها عام ١٩٧٨ حمل رسائل من ياسر عرفات الى الخميني ومن الخميني الى ياسر عرفات.... وزار الإمام الخميني في باريس مرتين ورافق عرفات على اول طائرة الى طهران بعد ايام من نجاح الثورة... وظل يتردد على طهران شهرياً واقام فيها وحده لمدة ستة اشهر عام ١٩٨٠ هرباً من مخاطر محتملة من قبل عناصر من الأمن العراقي لوحظت متابعتهم تفصيلياً... ثم عاد الى لبنان ليسافر مع وفود لبنانية قبل ساعات من الإجتياح الإسرائيلي عام ١٩٨٢ حيث الزمته المرجعية (منتظري) بعدم العودة.
استدعى عائلته الى طهران حيث اقاموا ثلاث سنوات الى صيف ١٩٨٥.. في هذه الأثناء سافر مع وفد ايراني الى الغابون ومدغشقر وكينيا والكاميرون في نشاط حول (القدس) وعمل مستشاراً في مكتب اعلام الحوزة في قم، ومشرفاً على مجلة (الفجر) متواصلاً مع الدوريات والمجلات الفارسية والعربية ومع الإذاعة والتلفزيون ووزارة الإرشاد والوزير وقتها «محمد خاتمي».
ثم تم اختياره عضواً في اللجنة العلمية للمؤتمرات ومسؤولاً ثقافياً لمكتب ائمة الجمعة والجماعة والإتصال بعلماء المسلمين في العالم في رئاسة الجمهورية في عهد رئاسة السيد علي خامنئي.
عاد من طهران عام ١٩٨٥ اكثر واعمق لبنانية وعربية ومن دون اوهام قومية متوازناً بين حركة امل وحزب الله ميالاً بقوة الى الحوار مع كل مكونات الإجتماع اللبناني.
خريف عام ١٩٩٢ وبعدما خاض معركة الانتخابات النيابية قرر ان ينفرغ للحوار.
فالتقى بسمير فرنجية وتم تشكيل «المؤتمر الدائم للحوار اللبناني» الذي يعتبر تجربته فيه اهم المحطات في حياته الفكرية والسياسية... ومن المؤتمر الدائم انفتحت امامه ابواب الصحافة والمؤتمرات المحلية والعربية والدولية فشارك في العشرات منها...
وكان عضواً مؤسساً في الفريق العربي للحوار الإسلامي المسيحي وعضواً مؤسساً في «اللقاء اللبناني للحوار»، وعضواً في الهيئة الشرعية للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى حيث كان قريباً وشريكاً للإمام محمد مهدي شمس الدين في مرحلة شديدة الدقة والحساسية.
استقال من الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين بعد مؤتمره الأول ثم تم اختياره عضواً في اكاديمية اهل البيت في عمان الأردن... وعضواً مؤسساً في منتدى الوسطية في عمان كذلك.
ثم اختارته مملكة البحرين بعد نشاط دؤوب له فيها مستشاراً في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ولكنه اعتذر لعدم تمكنه من الدوام والإقامة في البحرين.
وكانت الـ UNDP تقرير التنمية الدولية العربي قد اختارته في مجلسها الإستشاري الذي ما زال يمارس دوره فيه.
وهو الى ذلك عضو مجلس امناء ومجلس ادارة مؤسسة ياسر عرفات الخيرية الثقافية.
كتب ويكتب في عدد من الصحف والدوريات اللبنانية والعربية.
له ثلاثة عشر كتاباً مطبوعاً وعدد آخر كتبه عام ٢٠٠٨ «ماضي لا يمضي».
ذكريات ومكونات عراقية، «الإمامان الصدر وشمس الدين ذاكرة لغدنا». دار المدى –بيروت.
اسس المركز اللبناني للدراسات والحوار والتقريب وعمل فيه لمدة سنة اصدر خلالها عدداً من الدراسات وتقريراً دورياً موسوعاً عن الحالة الشيعية في لبنان... ثم اقفل المركز لأسباب تعود الى عدم توفر الدعم المالي الذي لا يمس باستقلالية العمل.
عضو المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى.
متزوج من السيدة نادية علو وله خمسة اولاد بنتان وثلاثة ابناء وله احفاد تخرجوا من الجامعة لأنه تزوج في سن الـ ١٩

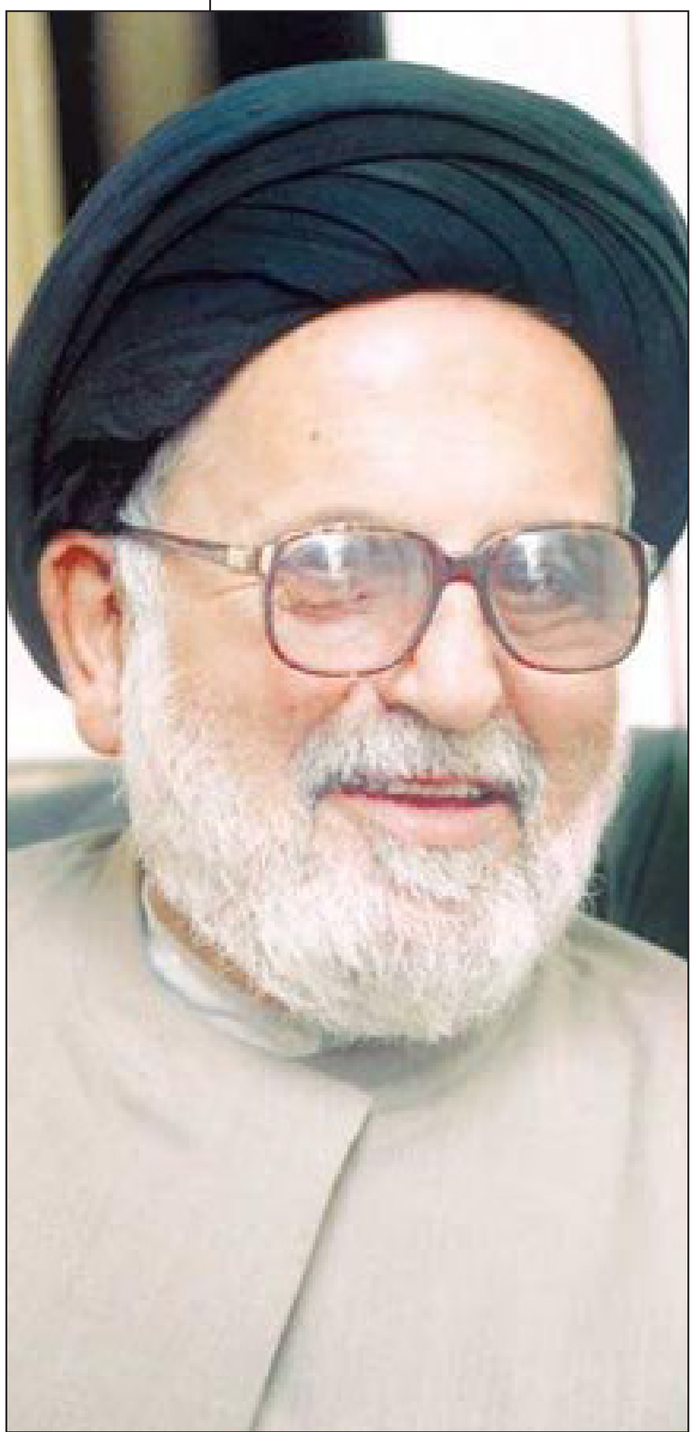

أنا والعراق.. فرصة رجائنا

هاني فحص

أنا هاني فحص اللبناني الشيعي، الذي امتلأت ذاكرته بالحرمان والتهميش، وهو إذ يشعر .كشيعي .بأنه أتيح له من خلال العلم والعمل والمشاركة، ان يمتلك مقداراً من القوة، إذا ما بالغ فيه خسره، وإن أحسن استثماره بالشراكة الوطنية وبناء الدولة الجامعة القوية والعيش المشترك وانتاج المعرفة وتنمية الموارد والانفتاح على الأشقاء والأصدقاء والحوار مع الأعداء، لعل العداوة تتحول إلى تفاهم أو تسالم، فإنه يحول الحرمان التاريخي إلى استحقاق مستقبلي، بدل أن يحوله إلى نكد اجتماعي وسياسي يعطل الطاقات ويهدر الثروات.
أنا المسلم الذي يعاني، وإن كان يشارك أحياناً في حالة الفصام والتجزئة والعنف والارهاب وتبذير المال وتبديد المخزونات... ويخاف على المسلمين من توسيع مطامحهم فوق الممكن والمستطاع، في أممية جربها غيرنا وعاد بعد فشلها إلى بناء أوطانه القومية... ويتمنى ان يعود المسلمون إلى مفهوم المواطنة التي تمر بالحدود الاقليمية، وتعود إلى أوطانها، لتحفظ الجميع بالجميع وطناً وشعبا.
وأنا أشم رائحة رغبات امبراطورية ذات نكهات مذهبية، منها ما جربناه ونرحب بأهله، إذا ما وظفوا تاريخهم وحاضرنا في سبيل نهوضهم ومشاركتنا في النهوض، ومنها ما هو احلام امبراطورية مستجدة تفضل القوة المادية على القوة المعنوية، وتفضل النفوذ والاختراق على الدور الذي لا يتم الا بالتفاهم معنا، وهي في سبيل ذلك تستخدم القضايا الكبرى، وأحياناً ضد أهلها، وتخلط العام الإسلامي بالخاص المذهبي، وان كان ذلك ضد مصالح القوم أو أهل المذهب.
أنا العربي الذي حلم وعمل وضحى وقبل بالفقر وآثر العلم على الجهل من أجل التحرير والتحرر والتقدم والوحدة، فانتهى إلى مزيد من الجهالة والتخلف والتأخر والفقر والجهل والمرض والتبعية والتجزئة ونفاد الثروة وتهديد الكيانات بالطائفية والمذهبية والصراعات الاتنية والحزبية. بسبب فهمه الناقص والمشوه للعروبة، واستقالته من دوره الوطني من أجلها، ومن دون طلب منها، واستقالته من شركائه ورفاقه في منتجاته الحضارية، بالذهاب إلى العنصرية التي حولت العروبة إلى مشروع يلغي نفسه باصراره على إلغاء الآخر المختلف الشريك.
أنا الذي كان يرى في مصر ضمانة في دورها وموقعها وهي تتحول الآن من رافعة إلى عبء... وكان ينتظر فلسطين التي ابتعدت ويمني نفسه بالخير النفطي إذا ما هدده الفقر والخراب... فيرى النفط يتبخر بفعل الاصدقاء والاعداء وفعل القصور والتقصير في الإدارة والتنمية... ويخاف من الانقلابات التقدمية التي أدت إلى مزيد من الموت والفقر والرجعية.
أنا الذي وجدت نفسي محاصراً باليأس والاحباط وكان همي أن لا أعدي الآخرين بيأسي، لكنهم يائسون مثلي... ان كانوا في عمري... ويخافون من تسرب اليأس إلى احفادهم بعدما أخذ يدهم أولادهم.
هذا ولم أتوقف عن البحث عن فرصة للرجاء. وفشلت أكثر من مرة، إلى ان لاح لي العراق، ولو عن طريق قبلته على مضض، لأنه لم يكن لي أمل في غيره... وقلنا البيت أهم من الطريق إلى البيت، على أن يكون لنا في العراق بيت... بعدما قيل لنا ان العواصم الفاعلة مستقبلاً لن تتعدى ثلاثا: انقرة وطهران وتل ابيب وخفنا من الثالثة، وحاولنا أن نخفف خوفنا بالطمأنينة في الآخرين، وان كنا لا نجد ضمانة أو مشجعاً على ذلك حتى الآن، رغم بعض المظاهر والشعارات العظمى.
إلى ان لاحت بغداد الممكنة بكل المعايير، وما ان أصبحت في ايدي ابنائها الذين ضحوا من اجلها حتى بدت بعيدة جداً أو مستحيلة.
لماذا أيها السياسيون العراقيون؟ لقد انتظرناكم فإلى أين أنتم ذاهبون؟ لماذا يسير العراق على طريق الصومال؟ ألا تكمن أكثر الأسباب في عقولكم ونواياكم وأدائكم...
حرام... عودوا إلى العراق

المقال نشر في صحيفة السفير اللبنانية

رسالة من شيوعي إلى السيد هاني فحص

حين أناديك مولانا تخرج(نا) الجماعة بقوة لياقات تعلمناها في مخاطبة رجل الدين، ولا أقولها في العادة لكل رجل دين. أما بعد رسالتك الموجهة إلى الشيوعيين، والمنشورة في جريدة (<<السفير>> ٢٠٠٣/٦/٢٠) فأنت بحق مولانا جميعا، نحن الحريصين على وحدة الوطن، لا على وحدة الحزب الشيوعي وحده، ولا على وحدة كل حزب بمفرده. لأنك على حق في أن منطق التجزئة والشرذمة والتفتيت، الذي يكون بمثابة النهج في معالجة الجزء، يصير نهجا في معالجة الكل.

مولانا في الوطنية من يضع وحدة الوطن معيارا لكل سلوك سياسي في ظل هجمة النظام المعولم التي تهدد وحدة الأوطان في كل مكان على الكرة الأرضية، وتقلص هامش حق الإنسان، كل إنسان، في ممارسة السياسة، وفي ظل الفروع المحلية لهذه الهجمة، العاملة بلا كلل على إبعاد الناس عن السياسة، بل على تجهيلهم السياسي، ليتسنى لها شرذمة المواطنين وشق صفوفهم وإعادتهم إلى حظائر الأفخاذ و البطون و الشلل الحزبية والمذهبية، وإلى مستنقع العصبيات المحلية التي تغذيها محاصصات السادة وتشحنها وتوظفها سلاحا للتفرقة، على حساب مصلحة الوطن.

مولانا في الديموقراطية أيضا من تبدأ الديموقراطية عنده من حيث ينبغي لها أن تبدأ، من الاعتراف بالرأي الآخر. ذلك أن تقاليد الزعم الديموقراطي في وطننا وفي بلاد العرب زيفت بما فيه الكفاية العلاقات السياسية بين الأفراد والجماعات حين استبعدت من قاموس ممارستها كل معنى لاحترام الرأي الآخر، وعلبت صناديق الاقتراع، فوق كونها علبا، ثم جعلتها آلة لصنع اللوائح المعدة سلفا والنتائج المعدة سلفا والرأي العام المعد سلفا، والارقام المعروفة سلفا: ٩٩ في المئة أو ما يعادلها قهرا للرأي الآخر أو إلغاء له، بكل الوسائل المتاحة والمبتكرة، بالتخوين والتكفير والسجن والنفي إن لم يتيسر الاغتيال.

أن يعلن رجل دين حرصه على بقاء الحزب الشيوعي موحدا هو استعادة لتراث من العلاقات الودودة بين رجال الدين وحركة النضال التقدمي، كانت قد بدأت مع رجال دين كبار تخرجت من بيوتهم أجيال من المناضلين التقدميين والشيوعيين، وهو ينم عن رحابة في الفكر السياسي ما أحوجنا إليها بعد الانهيارات و المصائر المهددة. وإذا كان هذا التراث قد تعرض للانقطاع في مرحلة من الزمن فلأن كلا من طرفي العلاقة يتحمل قسطا من المسؤولية في ذلك، وفي الحالتين كانت الأصولية، الدينية و الماركسية، مصدر التشوش.

مولانا في السياسة من يقرأ جيدا ما استجد في هذا العالم في ظل العولمة والأحادية القطبية، حيث غدا التمييز بين اليمين و اليسار أمرا ملتبسا، وبات من الضروري أن يعاد النظر بآليات النضال الوطني و القومي و الطبقي، وبآليات تشكل الأحزاب وبرامجها وأيديولوجياتها، من أجل قيام حركة مناهضة للامبريالية تجمع في صفوفها أوسع أوساط المتضررين من تسلط الاقتصاد على السياسة و السياسة على الثقافة. ربما بسبب ذلك باتت مهمة ثورية بامتياز المحافظة على وحدة الوطن في مواجهة مخططات التجزئة ومخاطر الحروب الأهلية، ومثلها السعي الدؤوب لتجديد الأطر الحزبية و الحفاظ عليها موحدة، لا سيما في حالة الحزب الشيوعي الذي يشكل انتشاره في كل الطوائف والمناطق و الطبقات ضمانة للحفاظ على وحدة الوطن.

أصالة الانتماء إلى التنوع هي أصالة الانتماء إلى دمعة سخية ذرفتها البارحة على كربلاء الغزو الأميركي على العراق، وإلى دعوة حارة لبناء أنظمة ديموقراطية علمانية على امتداد الوطن العربي. لكن العلمانية ثورة لن تنجح من غير دور فاعل يضطلع به رجال دين متنورون من أمثال سيد الكلام، السيد هاني فحص.

عن السفير اللبنانية

محمد علي مقلد

الانتماء الانساني..... هاني فحص نموذجا

جعفر الونان

الانتماء لذات ثم للعدد ثم للمجموعه مرورا بتكتل وصولا الى الفئه امر مطلوبا منه اذما كان ذلك الانتماء (انتماء فكريا حرا) اما اذا تحول الانتماء الى ايدلوجيه مؤرخه ذات امتداد ماضوي مصاب بمرض العداء التاريخي ومتخوف من الاخر فتتم مشكله حقيقه يعرفها الباحث البريطاني مارك لـ(ـ تا٦ند (١٩١٢ــ١٩٧١م) بالكارثه المحطمه ويبقى الانتماء الفكري صاحب اولويه اذ مالم يطغي على الانتماء الانساني اي بمعنى اخر الانتماء الفكري واجب كذلك الاختلاف الفكري شريطة ان لايضعا الانسان امام انتما جزئيا ناقصا ليس مكتملا ويحجبا الضوء على الانتماء الانساني كذلك الانتماء الانساني ليس حذفا للهويه الانسانيه كذلك الهويه لاتعد ميزه مميزه عن الاخر فالهويه ظاهره تعريفيه لاعلامه تمييزيه عن الاخر ويعرف الاخر بجرود هاون بانه من تختلف معه فكريا ويكمل فكركما احدكما الاخر. ويستبعد وجود فكر حر يخلق العدائيه ويسميه فكر ملوث ناتج من الاوعي ومن ثقافات التخلف والعاطفه القاتله.

وللانتماء الانساني اعمده واسماء بارزه في المجتمع العربي ابرزهم اليوم هاني فحص الذي جرد نفسه من نوازعه الذاتيه ليلبس ثوب الانسانيه وبالجدير بالذكر ان هاني فحص امتزجت شخصيه بالعراقيه البنانيه وان قال ان احب خالتي اكثر من امي وعندما سئله مجاهد ابو الهيل من هي خالتك ومن هي امك قال النجف خالتي ولبنان امي ومايمز هاني فحص تحرر افكاره ونضوجها وتعامله مع الماضي بانه ياخذ منه مايدعم مسيرته في الحاضر والمستقبل كما انه يرفض ان يكون الانتماء نزعه بشريه بل يعدها صفه بشريه طبيعيه ويعرف نفسه في مجلة الوسط احدى المجلات الصادره في بغداد الى انه مثقفا انسانيا قبل ان يكون مفكرا اسلاميا صاحب تصور ديموقراطي يحاول ان يتخلى عن ذاته من نزعة العنصر والتعالي الى اثبات نفسه بين مشروعين

الاول: حوار الاديان

الثاني: لاقطيعه بين الثقافه والسياسيه احدهما يتمم الاخر

واخيرا يعتقد بان المجمع العربي لابد له من لاينتزع هويته التعريفيه وان يرمي هويته النزعيه الشهوانيه وحب الذات وعداء من يخالفه عقليا وصفاتيا كي يفك قيود التخلف ويركب سفينة التقدم والتطور بشتى المجالات.

مذكرات تعبق بالأسئلة

هاني فحص مستحضِراً سكان الذاكرة

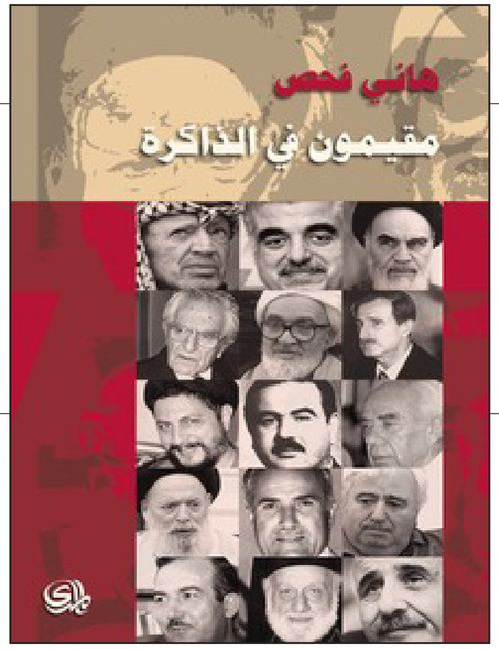

رجال فكر ودين وسياسة يحتلّون كتابه «مقيمون في الذاكرة» (دار المدى - ٢٠١٢) بتقديم للصحافي صقر أبو فخر. تحضر في نصّه إشكاليّة التعدّد، إلى جانب الاستعادة التاريخية لتلك الشخصيات الآتية من منابع إيديولوجية مختلفة. لا يؤرخ فحص لنفسه هنا، بل يقدّم بانوراما موجزة يتداخل فيها الذاتي مع العام، والخاص مع المشترك.

قلقة وخصبة ذكريات السيد هاني فحص. في كتابه «مقيمون في الذاكرة»، يستدعي صاحب «الهوية الثقافية» تسعة عشر شخصاً من رجال الفكر والسياسة والدين. في العمل الذي قدّم له الصحافي والباحث صقر أبو فخر، لا يكتفي فحص بسرد الجانب المشترك بينه وبين هؤلاء، بل يذهب أبعد من ذلك. يخرجهم من أطرهم المعروفة لدى القارئ، ويقدمهم من جديد. كذلك يعيد طرح أفكارهم من وجهة نظره، المختلفة أحياناً عن السائد. في الجزء الثالث من مذكراته، يسعى فحص إلى تقديم رؤية حميمة لأصدقائه. بعضهم عرفهم شخصياً، وآخرون لم يتعرف بهم، إنما يستحضرهم ليطلعهم على أسراره. تبدو هذه الرؤية متقطّعة أحياناً، فتنتقل بالقارئ من حال إلى حال.

بخل مبرّر

ورغم أنّ صاحب «الشيعة والدولة في لبنان» لم يزودنا بما يكفي من المحطات التي خاض تجربتها مع هؤلاء المقيمين في ذاكرته، فإنّ لهذا «البخل المعرفي» مبرراته. ربما لم يرد كشف المزيد من الأسرار عن مكونات شخصياته، فآثر الاحتفاظ بها منعاً للتصادم.

ياسر عرفات، والإمام الخميني، ورفيق الحريري، وخليل الوزير، وكمال جنبلاط، وعباس بيضون، والإمام موسى الصدر، وحسين علي منتظري، والسيد محمد خاتمي، وجورج حاوي، والسيد محمد حسين فضل الله، والطران جورج خضر، وعادل عسيران، وجعفر شرف الدين، وحسين مروة، وغسان تويني، وشكيب أرسلان، وأنطون سعادة، ومصطفى عز الدين.

هذه القامات السياسية والفكرية والدينية، شكّلت مدار بحث السيد هاني فحص عن ماضيه وغده العابق بالأسئلة. يستنهض الكاتب ملامح هذه الشخصيات في نصّه المتوتر بدءاً من السطر الأول. هذا التوتر، كما يؤكّد فحص، «لا يرويه سوى الحبر».

منابع مختلفة

إشكاليّة التعدّد تحضر بقوة في نصه. ولعلّ هذا الاستحضار التاريخي لتلك الشخصيات الآتية من منابع إيديولوجية ومكانية مختلفة، تبرهن على تعدديّة فحص المسكون بالقلق المعرفي. ثمّة خاصيّة مهمّة يمكن كشفها في كتابه الثالث من سلسلة ذكرياته: الشحّ في المعلومات، وخصوصاً حينما نقارن ما أدلى به هنا بـ«ذكريات ومكوّنات عراقية» و«ماضٍ لا يمضي»، اللذين كان فيهما شديد الالتصاق بالذاكرة الذاتية والجماعية وحمل آمال جيل كامل من الجنوبيين وسواهم، بأحلامه وانكساراته.

لا يزودنا صاحب «الهوية الثقافية» بتفاصيل كثيرة؛ لأنّ الذاكرة السياسية قد لا تسمح له بإضفاء المزيد من الوهج على أولئك الذين استحضرهم ليعيش معهم من جديد. تشترك سيرُ الشخصيات، الخاصة منها والعامة، بقاسم واحد: ثقل الهم السياسي والمشروع الفكري. ورغم غلبة القيادات السياسية على مفاصل الكتاب، فإنّ حديثه عن المعمّمين والمفكرين، أجمل وأنقى، ولا سيما حين يلاقي صديقه المطران جورج خضر، الذي أبدع في الكتابة عنه، وعن العلامة منتظري وغسان تويني وعباس بيضون.

تعرجات الذاكرة

بين فصول الكتاب، لامس فحص تعرجات ذاكرته ومستقبله الذي حلم به مع تلك الشخصيات. حاول قدر المستطاع نبش بعض التفاصيل من دون أن يصل بنا إلى المشتهى. في «ماضٍ لا يمضي» كان أول رجل دين يطل على زوجته من صفحات كتاب تقرأه «العامّة».

تحت مسمّى «أم حسن» أو «الزوجة بيتاً»، أشار إلى وجود سيدة وزوجة وأم وناقدة، لكن بصفة الغائب. لم يؤرخ فحص لنفسه، بل صوّر لنا بانوراما موجزة يتداخل فيها الذاتي مع العام، والخاص مع المشترك. لهذا، لا تجد في بعض السير التي كتب عنها سوى ملامح لتجربة خاضها من دون أن يكثف حضوره معها، كما لو أنّه أراد تسليط الضوء عليها، لا على ذاكرته معها.

تقصّد صاحب «الحوار في فضاء التوحيد والوحدة» إخفاء المعنى ليغري القارئ بالتأويل والتخمين، ونجح في ذلك. لم يهدف إلى نبش الذاكرة السياسية فحسب، بل أعاد طرح أفكار الشخصيات. وبدا هذا النهج واضحاً حين عاد إلى السيد فضل الله وإلى الإمامين منتظري والصدر وإلى كمال جنبلاط.

فحص المسكون بأسئلة الغد، رغم أنّ الماضي يريحه أكثر، لم يتوان عن توجيه رسائل خفية إلى من كتب عنهم. يتضح هذا الأسلوب عندما أجرى مقارنة بين كمال ووليد جنبلاط.

إمام الفقراء

القسم الأكبر من الشخصيات الماثلة في ذاكرة فحص، اغتيلت بالمعنيين الرمزي والمادي. وكان من المهمّ أن يستفيض صاحب «ملاحظات في المنهج» في قراءة الأسباب التي دفعت الخميني إلى عزل منتظري. وكان من المهم أيضاً الإضاءة بنحو أوسع على علاقته الفكرية مع السيد فضل الله «إمام الفقراء» كما يسميه.

لم تكن تحولات هاني فحص الفكرية مفاجئة، وقد لمّح إلى ذلك في أكثر من موضع في كتابه. هو الآن في موقع الوسطية، وليس بمقدوره مغادرتها، لأنّها دخلت في شرايينه بعد مخاض طويل. عاد صاحب «خطاب القلب» إلى أنطون سعادة بغية «تحريره» من حزبه. وخلال سرده عن مؤسس «الحزب السوري القومي الاجتماعي»، يعود إلى الإمام جمال الدين الأفغاني، داعية التعددية الذي حيّر الناس في مذهبه.

وهنا يعلن فحص قربه من هذه الشخصية، فتمنى لو أطل عليها مبكراً، ولو أنه حيّر الناس في مذهبه أيضاً.

توتر جمالي

نصّ هاني فحص إيقاعي ومتوتر ومتقطع. هذا النهج أسبغ على الكتاب جمالية أدبية، رغم أنّه قد يفقد السرد نهاياته. الذاتية ليس لها حضور كثيف في مذكرات هاني السياسية، وعلى وقع ثنائية الفصل بين الذاتي والحدثي، سعى إلى تركيب سير شخصيات فاعلة في التاريخ «السياسي والثقافي والديني». أنه بهويته ذات الملامح التعددية الواضحة، كان في إمكانه الذهاب أبعد من المعلومات التي كشف عنها. إلا أنه فضّل منهج التورية، مما جعل نصه مفتوحاً على الفرضيات التي يطرحها قارئ الكتاب، ولا شكّ في أنّه تعمد هذا الأسلوب.

مذكرات السيد في جزئها الثالث تعبق بالأسئلة السياسية والمعرفية، لكنّها تضع هذا الجيل أمام مأزق فشل التجارب أو إجهاضها. والأهم من التجارب نفسها أن ذاكرة الأمكنة والجيل الجنوبي في لبنان الذي استفاض في سرد حيواته في الجزء الثاني من مذكراته، أبهى لأنّها أتت من عرق الفقراء ومن ذلك القلق الذي لا يستكين

في فصل من الذاكرة

أنا عاملي من جبل عامل من جبل القبيلة العربية اليمنية. التي تشأمت قيمن تشأم من القبائل اليمنية بعد سيل العرم وانهيار سدّ مأرب، واستوطنت كتف الجليل... من الجبل الذي اتبعه الصليبيون إداريا بإمارة القدس... لأنهم ربما كانوا قد قرأوه جيداً... أنا عربي مسلم شيعي هاشمي من نسل الحسين ذي الدمعة نجل الامام علي بن الحسين (زين العابدين) جئنا الى حوران ومنه انتقلنا الى جبل عامل الذي اكتسب معنى اضافيا الى معناه عندما أصبح جزءاً من لبنان دون أن ينفصل عن فلسطين، الامتداد الكلي والقضية.

السيد هاني فحص

على مدى عقود من التجزئة والكيانات التي عادت فترسخت. ظلت لغتي ووجداني وذاكرتي وأشواقي تتمنع على الكيان. تتجاوزه شعراً وأحلاماً، تمر به، تتعامل معه واقعاً. تسافر في سوريتها وعروبتها الى آخر المدى المفتوح والمغلق، الى آخر الرمل والنخيل. وترتدي اسلامها شكلا ومضموناً على عروبة رأت فيها ولها وظيفة حضارية دونها يرتبك الأداء الاسلامي ولا يصل ودون الإسلام هما حضارياً انسانياً مفتوحاً واسعاً لها، تصبح محارة فارغة لا تملك الا أن تتقوقع على هواء وتعتدي لتحيا أو تعيش ولا تحيا ولا تعيش...

واذا ما كان التشيع قد غلب علينا وكان رؤية لدينا فانه بمقتضى هذه الرؤية لم يحبسنا ولا حبسناه، لم يقطعنا، بل أعاد دمجنا وتأهيلنا للفعل في السياق الملائم مكاناً وزماناً واتجاهاً. لقد اتخذناه نهجا يغلب مصلحة الأمة على مصلحة الفئة، مسترشدين بفقه أهل البيت (ع) وأخلاقيتهم وسلوكياتهم، منضبطين بها.

مرة حصلت مشادة بيننا وبين الشيخ ظاهر العمر ثم انهمكنا واياه بقيادة ناصيف النصار في معركة ضد أحد الظلمة من الولاة قبل قرنين ونيف من الزمان وانتصرنا معا... وكنا من قبل قد تعاملنا مع السلطة العثمانية من دون عقد، عارضنا لما فيها من جور نسبي، شأن بقية العرب والمسلمين، وعندما طغى الجور وارتفع منسوبه رفعنا من وتيرة معارضتنا وحجمها، دون أن يصب حبنا في طاحونة الآخر... الخارج، العدو... بل كنا اذا ما تصدى الخارج، أي خارج، لهذه السلطة بالعداء والصراع، سرعان ما نتنازل ونأخذ موقعنا في الصف الواحد مقابل الخارج المعتدي، وعلى لساننا وفي الأعماق منا المأثور من قول علي (ع) عندما أشيع في صفين أن جيوش ملك الروم تهاجم أطراف الشام، قال علي (ع): والله لو فعلها ابن الأصفر، ملك الروم، لوضعت يدي في يد معاوية أو لقاتلت تحت لواء معاوية أو كما قال... في حين كان معاوية باجماع المؤرخين قد صالح ملك الروم على جزية وفيرة ليتفرغ للصراع الداخلي.

وفي أواخر القرن الماضي، كان الارباك قد بلغ غايته في أداء الدولة العثمانية، زمن عبدالحميد، فانعكس ضعفاً وتفككاً وامتد جوراً. وعسفاً يميل المنصفون الى التخفيف من مسؤولية عبدالحميد عنه، لكونه وارثاً ومستهدفاً لا مؤسساً مقترفاً فقط، وقد أصابنا في جبل عامل الكثير من الآثار السلبية لهذا الوضع، فكيف تعاطينا معه؟

رأينا الغرب وراءه، يريد من ورائه اسقاط الدولة العثمانية، لا عقابا لها على جور ترتكبه ازاءنا وازاء الأطراف الأخرى من ديار السلطنة، بل عقاب على ما حققته من وحدة حسب منظور الغرب، وهنا أجرينا حساباتنا الشرعية وحكمنا معيارنا، معيار المصلحة والمفسدة، مصلحة الأمة بالطبع، فكنا مع عبدالحميد بوضوح قاطع، باذين في ذلك أو متزامنين مع موقف ومسعى القائد المجاهد جمال الدين الأفغاني (السني الشيعي معاً بشجاعة وانسجام يغري العقلاء)، الذي رأى الغرب يتوحد ليعد موحداً لعدوانه على الدولة العثمانية مركزاً وأطرافاً... وكان السيد الأفغاني من قبل ينأصب الدولة العداء لاستبدادها وظلمها ويريد أن يسقطها هو، بيده ولحسابه - حسابنا - لا أن يسقطها الغرب بيده ولحسابه أو بيدنا لحسابه، ولملم السيد مبادئه وشرفه وحميته وعلمه ووعيه ونهب الى الأستانة ليقف الى جانب عبدالحميد مشيراً ناصحاً كاد أن يثمر لولا أن تدخل الصهاينة والماسونيون ليحدثوا الشرخ بينه وبين عبدالحميد الذي اقترف خطيئة الغضب على الصهيونية والمعاندة لهرتزل ولم يغرط بفلسطين... وقد كان من انجازات جمال الدين على هذا الطريق ما أحدثه من فتحة واسعة في السد الذي كان قائماً بين الدولة العثمانية وايران القاجارية باتجاه الوحدة في مواجهة العدوان الغربي، قياساً على التجربة التي تمت بعد محاصرة دمياط من قبل الصليبيين بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية ممثلة بالسلطان الشهيد نور الدين محمود، وغني عن البيان أن جمال الدين كانت له يد في مصرع ناصر الدين شاه ايران الذي انكفأ في لحظة عن هذا المسار الوحدوي فقتله ميرزا رضا كرماني تلميذ جمال الدين ومريده في المكان نفسه الذي سبق للشاه أن سجن فيه السيد جمال وعذبه في احدى ضواحي طهران...

هذا ليس حدثاً فرداً في تاريخنا الذي يتعامد فوق الجراح والفوارق والمسافات. بل له جذور وتقاليد سابقة وتجليات متعددة، مضمونها الأساس المصلحة المضبوطة بفقه توحيدي وأخلاقية نبوية امامية، تعطي الأولوية للخطر الخارجي بما يقتضي ذلك من تعطيل تلك الصراعات الداخلية والمشاحنات.

بعد معركة «جالديران» في الربع الأول من القرن السادس عشر الميلادي، واحتلال تبريز عاصمة السلطنة الصفوية من قبل العثمانيين وهروب الشاه اسماعيل الى أصفهان، عاد العثمانيون بعد أكثر من قرنين ليجدوا في المصداقية الشيعية في العراق اشكالية لا تحل بالعنف والعداء، وكان لابد من تعديل في التوجه العثماني في العراق على تعقيدات كثيرة وشائكة، وحصل التعديل فعلاً، وتصدى العلماء لدورهم التوحيدي فكان الشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء، المرجع، رسول خير بين الطرفين العثماني والصفوي، لم يرسله أحد، بل ندب نفسه للرسالة، فقرب ما قرب وحل ما حل من اشكالات ومشكلات ووفر كثيراً من المتاعب والخسائر والدماء والمصالح، وعنه ورث حفيده المرجع الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء هذا الموقف التوحيدي عندما أمّ المصلين المؤتمرين في القدس عام ١٩٣٦ وهم قادمون من أقطار العالم العربي والاسلامي في مواجهة التحدي والعدوان الصهيوني ومن بعد جاءت مذكرته الشهيرة، الكتاب، (المثل العليا في الاسلام في بحمدون) وثيقة ناصعة في مواجهة محاولة الغرب العدوان على الاسلام بتقويض قيمه السياسية التحررية من الداخل.

وامتدت المواقف والمسالك والمعايير عاملة فاعلة الى ما بعد سقوط عبدالحميد ووصول الاتحاديين الى السلطة بما فيهم من سوء وعنصرية وعصبية وماسونية... وعندما أكل المخلصون الطيبون من المشاركين في المؤتمر العربي الأول في باريس عام ١٩١٣ الطعم الاستعماري بطرح الاستقلال الذاتي الملغوم بالانفصال لبلاد الشام، توسل الاتحاديون التنزيكيون بخصمهم العروبي المسلم الشيعي الصلب عبدالكريم الخليل ليذهب الى باريس ويقنع المخلصين من المؤتمرين بأن الاستقلال الذاتي ليس الا غطاء لنوايا التجزئة والاحتلال، وذهب واقنع وأحدث ارتباكاً في المؤتمر بعدما كان أحد المؤتمرين المسيحيين القادمين من أميركا الجنوبية بصفاء وبُعد نظر عظيم قد قدم اقتراحا بإدراج بند الأخطار الخارجية على بلاد الشام على جدول المناقشة فسقط الاقتراح بالأكثرية الساحقة أو الإجماع!! لأنه - حسب التعليل - ما من خطر على بلاد الشام سوى الخطر العثماني!! عشية الحرب الأولى؟.

وكانت الحرب، وسقطت السلطنة العثمانية التي كنا قد أصبحنا معها، كما كل المسلمين لأن عدوها هو الغرب... (أذكر المرحوم عجاج نويهض عام ١٩٨١ وقبل سنة واحدة من وفاته كيف كان يروي لنا ويبكي ذكرياته عن الأمير العظيم شكيب أرسلان وهو يخطب في قرى المتن الاعلى يستحث الأهل على التطوع للدفاع عن الوطن وهو يبكي بكاءً مرا وكيف أنه جهز كتيبة قاتل بها في ليبيا...) وبكاها - السلطنة العثمانية - عالمنا المرجع التقي السيد محسن الأمين بقصيدة طويلة.

وحاولنا انقاذها في العراق وهي على مشارف السقوط دون حساب للربح والخسارة، في ثورة العشرين التي قادها علماؤنا بنبل وبسالة وشهامة ما زلنا نفتخر بها وسنبقى.

وطوال فترة حكم الاتحاديين كان الشريف حسين، وبسبب صلف الاتحاديين قد وقع في قبضة مكماهون، وكنا في الخط المقابل، الى أن سقط الاتحاديون، فانفتح باب التناقض والتناحر بين حسين واسرته وبين الغرب، وانكشفت المؤامرة وأصبح الحسين وأسرته موضوعياً في مواجهة الغرب، وهنا أصبحنا مع الشريف حسين دون تردد لأننا ضد المستعمر، وعندما أراد المستعمر أن يدرجنا في مشروع التجزئة بإعطائنا دويلة مسخاً في جبل عامل، وأرسل لنا لجنة كينغ كراين لتستفتينا -أفتينا قيادة وقاعدة، علماء وزعماء وجمهوراً واسعاً، أفتينا بالوحدة... وعندما اشتدت الوطأة علينا، عقدنا مؤتمر الحجير وطيرنا مذكرتنا من هناك الى فيصل في دمشق والى العالم والتاريخ، على يد العلماء قائلين: ان جبل عامل جزء من سورية بحدودها الطبيعية.

قفزاً على المراحل والعقود والسنوات والأيام والأحداث والتواريخ والمناسبات... من منا لا يذكر فرحنا بالثورة المصرية... والجزائرية... ووو؟؟؟

ورحلاتنا أطفالاً على ضيق ذات اليد الى دمشق للمشاركة في أعراس الوحدة والدبكة على ضفاف بردى والعيون معلقة على شرفة قصر الضيافة «حموي يا مشمش»! من منا، نحن جيل أطفال الوحدة وفتيانها من لا يقول لزوجته وأطفاله لو مرّ الف مرة على طريق دمشق - بيروت هذه ميسلون ويوسف العظمة؟ ويمتد حبل الذكريات... سعيد العاص وأحمد مريود وابراهيم هنانو وحسن الجزار وسلطان باشا الاطرش. الى آخر الثورة العربية الى أدهم وصادق وسليمان النابلسي وسليمان الحلبي وسليمان خاطر وأبو علي أياد وأبو جهاد والأخضر العربي وكمال ناصر الخ... والله وبالله وتالله لم يكن فرحنا بعبدالناصر فرحاً بالاشتراكية بل كان فرحاً بالوحدة وحسب... لم تكن علاقتنا بالوحدة مشروطة الا بشرط العدالة والحرية والديموقراطية.

ومن دمشق صالح العلي والقسام وجول جمال وبدوي الجبل وأدونيس كنا ندلف الى بغداد، من دمشق حبل سرتنا الى العلم والأدب... من السيدة زينب وحجر بن عدي الى النجف وكربلاء، الى علي نهج البلاغة والسبط الشهيد والأحفاد، ونعود مفعمين علماً وأدباً ولغة عربية وقراراً بالجهاد ضد الفرنسيين والصهاينة واحتضان المقاومة الفلسطينية والصبر على الخطأ لأن جبل الجليل شقيق جبلنا ورفيقه الى الأبد لم يغب عن عيوننا وشوقنا أن نرى القدس من قممه... ولهجة عراقية ومصطلحات يومية من الاستكانة، لكوب الشاي ذي الخصر اللطيف والفم المذهب الى «النومي بصرة» الحامض العماني... الى المائدة وأصناف الطعام من المسمّى الى القيمة الى الفسانجون... الى المراثي التي تصل بنا الى آخر الحزن فنفرح ومن فرحنا نقاتل الأعداء...

عندما نفقد أباً عزيزاً نصغي الى سكينة بنت الحسين في (الحسجة العراقية):

هضيمة يا بويا والله هضيمة/ أنا صير من زغري يتيمة

أتاري الأبو يا ناس خيمة/ يفيي على بناته وحريمه

وعندما تضيق بنا السبل والأوطان والسجون والأفكار والضلوع والمشاعر... عندما نشتاق الى النجف وحواريها والكوفة ونخيلها وبغداد ودجلتها وأبي نواس والكميت ودعبل الخزاعي والحلاج والكرخي وأبي حيان التوحيدي والشريف الرضي والجواهري والرصافي ورفائيل بطي وأنستاس الكرملي ومصطفى جواد وغائب طعمة فرمان والسياب وعبدالحسين العبدالله وموسى الزين شرارة وعلي الزين والحوماني وفتى الجبل وجورج جرداق وبولس سلامة ومعروف سعد والشيخ راغب ومحمد سعد نصرخ مع مظفر النواب:

يكضن ورد يا ديرتي لحسنك وموتن عالتين شوقي الك شوق القطا التايه وموعات الدهن

هَيْنه أذوق مَيتك واركض بزخات المزن دونك يحز بلوزتي الخنجر... عيب اون واذا ما اشتقنا الى الحبيب قلنا مع مظفر:

من ظني كظك بالحلم عنبر فحت

ردت أجيبك جست روحي وفرفحت

ويفتخر ثلاثة من أولادي الخمسة على اخوتهم بأنهم عاشوا في العراق بعضاً من عمرهم... وتفتخر احدى ابنتي على الجميع بأنها ولدت في الكوفة... في حي كندة، في حي الكندي والمتنبي على مقربة من الشهيد هيثم التمار الذي صلب على النخلة، ومسجد الكوفة حيث جرح ابن مراجانة علياً (ع)، وقصر الامارة البائد كغيره من القصور، وهاني بن عروة ومسلم بن عقيل سفير الحسين... على مقربة من شط الفرات والكناسة وآثار ديارات النصارى وحيرة المناذرة ويبت علي بن أبي طالب (ع) الذي مازال قائماً... في الستينات كنا نتمشى على الرمل، نطالع شجر العاقول ونبات الحنظل ونقرأ التاريخ في رمل الكوفة.

ذات أصيل رأينا أحد أمراء البيان العربي المرحوم الشيخ أمين الخولي مرتبكاً قرب منزل الامام علي (ع) قلنا ما بك أيها الأستاذ؟ قال: الولية حتقتل نفسها... وجدناها... الدكتورة عائشة عبدالرحمن - بنت الشاطئ - تمرغ راسها وجبينها في تراب جدران بيت فاطمة الزهراء (ع) وتبكي حتى النشيج... تبكي من الفرات الى النيل.... من أحمد شوقي الكردي، أمير شعراء العرب، الى محمد مهدي الجواهري الفارسي سلطان الشعر العربي:

«أنا ابن كوفتك الحمراء لي طنب بها وإن طاح من أركانه عمد».

عن كتاب (ماض لا يمضي) الجزء الثاني

هاني فحص وتنويريته

عبدالله خليفة

يطرح السيد هاني فحص المثقف والشيخ القادم من لبنان خطاباً غير معتاد في الثقافة الدينية، فهو ديني يؤسس حداثة، وهو رجل ديني شيعي يناضل من أجل توحيد المسلمين، وهو معمّم يدعو إلى دولة لادينية، وكل هذه السمات لم تتشكل بسهولة إلا في بلد هو ذروة للتطور الثقافي العربي الإسلامي المسيحي، رغم ان مثل ظاهرة

السيد هاني فحص تتكرر بشكل نادر في أقطار أخرى عربية وإسلامية ولكنها لا تكاد تُلحظ بسبب عدم النشاط السياسي والاجتماعي لأصحابها، وهو الأمر الذي تواجد فيه السيد هاني كذلك، فجمع الفكر المستنير والممارسة النضالية.

والمتحدث السيد في إحدى الندوات التي أقامها له الأستاذ عبد الهادي مرهون نائب رئيس البرلمان، وأدارها وافتتحها الأستاذ حسن مدن، ذو خلفية فكرية وفقهية واسعة في الإسلام، بحيث إن إجاباته العديدة في شئون الفقه والقضايا الفكرية والتاريخ كانت تفيض بمعلومات متفجرة مبهرة، ويحشود من أسماء من فقهاء محدثين وقدامى ومن لقطات كثيفة عن الصراعات السياسية في المشرق خاصة.

ولكن الورقة الأساسية التي قدمها الأستاذ في الندوة حول «الأصولية»، كانت بلا موضوع محدد، فهي تتناول الأصوليات، حسب تعبيره، والتي تتمظهر لديه في الأصوليات: الإسلامية، والمسيحية واليهودية، والتي يعتبرها السيد متماثلة في إنتاجها للخطابات المنغلقة، حيث هي أصولية مقفلة، وتحول الصراع السياسي إلى صراع ديني وتشكل السياسة الخرابية. وهو يحلل هذه الأصوليات بشكل فكري تجريدي، وليست باعتبارها تكوينات اجتماعية تاريخية، فيحلل الأصولية المسيحية وتداخلها مع ظاهرة الإمبريالية، ثم يعود للتاريخ الإسلامي مبتدئا منذ البداية بلمحات لا تكاد تُظهر شيئاً من ملامح التاريخ الإسلامي، مقتطعاً أقوالاً من الإمام علي ثم متوجهاً لسرد التاريخ الإسلامي كله بومضات لم أصل فيها إلى معنى ما. فهو حين يحلل التاريخ الإيراني يركز على الدولتين الصفوية والقاجارية، ولا نعرف لماذا اختارهما من جملة التاريخ، ولماذا يريد أن يقول بشأنهما؟ ثم يتقدم إلى التاريخ الحديث كذلك وإلى نشوء الدولتين الفارسية والعثمانية الطائفيتين.

لعل هذه السردية المعقدة هي نتاج أول لضخامة الموضوع غير المركز على حقيقة ما، ثم للمصطلح غير الدقيق المستعمل، وهو مصطلح «الأصولية»، حيث يعتبر الحركات الدينية حركات أصولية، وكلمة الأصول تعني أصول الدين، وليس الفروعية فيه، ولكن الحركات الدينية هي حركات سياسية مذهبية ذات تاريخ طويل متعدد ومتناقض السمات، من حركات معارضة مدنية كالقدرية والمعتزلة والمرجئة، وحركات مذهبية إنسلاخية كالخوارج والإثنا عشرية والإسماعيلية، وحركات محافظة كالمذاهب السنية، وحركات دينية حديثة لها أسس اجتماعية مختلفة الخ.. أن كلمة الأصوليات كلمة تجريدية تقفز فوق البُنى الاجتماعية المحددة التي تتشكل المذاهب الدينية داخلها، وهي لم تعط الباحث إمكانية أن يقرأ علاقات التيارات الدينية بتشكل المراحل والطبقات، حيث ان الفترة المحمدية التحويلية هي غير فترات تكون الإقطاع السياسي والديني الذي أعاد تشكيل الموروث الديني في ظل سيطرته الأسرية، ولم تستطع الفئات الوسطى المدنية أن تقوم ببلورة منحى تحديثي شامل في الأزمنة التالية لحد التاريخ الراهن. «إن لحظة الإمام علي ولحظة الإمام الباقر هما لحظتان مختلفتان سياسيا ورؤياويا». وبعدئذ يتوجه السيد هاني إلى العناصر التحديثية المنتجة في مختلف المذاهب لكي يشكل فقهاً معاصراً مرناً لكل المذاهب، متوجهاً إلى توحيد المذاهب، عبر تخليها عن نزعاتها المنغلقة والمتشددة، لكن على أن تظهر دولة لادينية، تكون للمواطنين جميعاً، ومن هنا يرفض أن تتحول التنظيمات الدينية إلى دول صغيرة تقدم الخدمات العينية للناس، بدلاً من أن تلقي أعباء هذه الخدمات على الدولة، وهو يعتبر تشكل الدولة ووجودها الحضاري هو القضية المحورية، خاصة على الخلفية اللبنانية، ويناقش الجوانب الإيجابية للدول القطرية، وعموماً يدعو إلى تأسيس دول حضارية بدلاً من دول الطوائف والأحزاب العشائرية والأديان.

عن جريدة الخليج الاماراتية

http://www.almadapaper.net - E-mail: almada@almadapaper.net

هاني فحص: علقت صورة غيفـارا في النجف

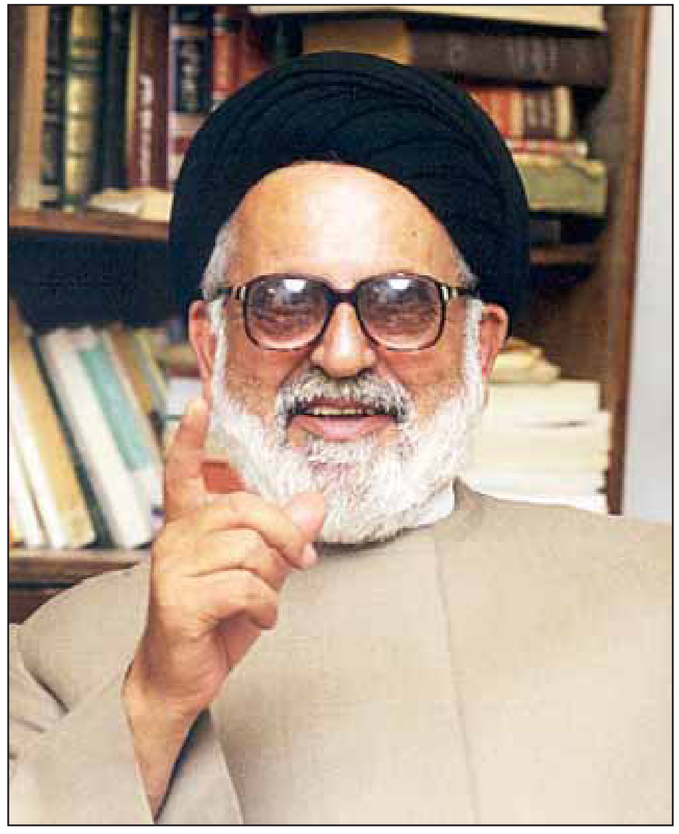

هاني فحـص: آفـة الأمة العربية أن ربعها أميون

شغل المفكـر الإسلامي اللبنـاني الدكتور هاني فحص الساحة الثقافيـة والدينية والسياسية بآرائه المعتدلة، وعبر قراءات لسماحـة السيـد الماركسي - كما يطلـق عليه - كارل ماركس، وبـدر شاكر السياب، وادونيس، ومحمود درويش، وغيرهم من أعـلام الفكر والثقافـة استطاع أن يتعرف إلى أسماء كثيـرة، ويكوّن أفكارا خاصة، وإشكالية. علق الشيخ صورة الثائر العالمي ارنستو تشي غيفـارا في منزله في النجف، وانشغل بالهـمّ الثقـافي العـام في الوطـن العربـي، وأسهـم في تقريب المسافـات بين الطوائـف المسلمة، وقاد الحـوار المسيحي ــ الإسلامي مـع أقرانه المعتدلـين من اجل وأد الفـتن بأشكالها كافة في بـلاده، ونادى بضرورة التقريب بين الأديان، والتشارك في الحياة بين الجميع، وعـدم ترك المجال للمتعصبـين في كل مذهب يحتكرون الرأي وسط غيبـة المعتدلـين، ورأى أن العـرب بحاجـة إلى حوار مع الآخـر، حتى مع اليهـود الذين هم بحاجة إلى قـراءة جديـدة، أوسـع مـن الصهيونيـة التي تريـد احتكار دينها. وعبر عـن تخوفه من استمرار الصراع بـين الديانات «إذا ظلت الأديـان التوحيدية تتصارع بهذا الشـكل، وتركت موقعها المسؤول للمتطرفين من المنتمين لها، فسوف تبحث الأجيال عن دين آخر قد يكون هو اللادين».

وارتبـط فحص - حسب تعبيره - بأبـرز قضية انسانية وعربية، قضيـة فلسطين التـي يعدها المحـرك الأول والأخـير لقضايانا العربيـة، وقـال في حـوار مع «الإمارات اليـوم»: «أنـا متّهم بحب فلسطين، وهـذه اجمل تهمة، وهناك من يأخـذ عليّ هذا الحب، اعيش على الاعتبار الفلسطيني فهو مصدر حياة بالنسبة إليّ». معتبراً أن كثيـرين يحسبونه «عراقيا وبحرينيا ومصريا وأردنيا، فالهوية تشكل بالنسبة إليّ تداخلا عربيا، بل هي الحيوية التي أنحرك من خلالها».

محمد السمهوري

وتقديري أن المحلية تتحقق في النص الأدبي والعلمي والفني وهو ذروة العالمية».

مجتمع مدني

وعلى عكس كثير من الأصوليين والسلفيين يطالب المفكر الإسلامي بمجتمع مدني يحمي الجميـع «مجتمعنـا الـذي كان من المفترض أن يكـون مدنيـاً لم يتشـكل، المعاييـر ليست مدنيـة، أداؤهـا ليس مدنيـاً، يجب أن يتطور الى المدنية بشكل ما. انعكس ذلك على الثقافة بغض النظر عـن جمالية النص او احقية النص»، مشيراً الى بعض ظواهر التعصب في عالمنـا العربـي «هنـاك ظواهـر نراها مثلاً في مصر، اجـد واحداً يحمل القـرآن، وآخر يحمـل الانجيـل، وهـذا مصدر تشاؤمي، والتشاؤم ليس انسحاباً».

ويؤكـد رئيس المركـز اللبنـاني للدراسات والحـوار والتقريب علـى اهميـة وجـود الدولـة وحمايتهـا لأفـراد المجتمـع «برأيـي الدولـة ضـرورة اجتماع، ومـن دون الدولة لا اجتمـاع، وعندما تقصر الدولة في تحقيق هـذه الضـرورة وتتحول الى محضـن سلطة اختزالية طبقيا أو عرقيـا أو دينيا أو طائفيا يفقد الفـرد شعـوره بالأمـان والاحتضـان والمراقبة والقانون والحق، وفي غياب الدولة يذهـب الفرد الى جماعته الدينية او الطائفية ليستقـر». مضيفـاً أن غياب الدولة، بالمعنى الجامـع والحاضـر أي أن تدير الاختلاف لا أن تعمقـه او توسعـه، يصعّـد الطوائـف مع غيـاب الأحـزاب المدنيـة ايضـاً، ويستدعـي ماضيها، والماضي سهل أن تستدعيه.

الاعتدال والحوار

ويوضـح فحص دوره في غيـر محفل فكري وفقهـي وثقـافي «توجهي وما أقـوم به ليس استثنـاء، هناك تيـار اعتدال غيـر معبر عنه تمامـاً، أنا لو كنت المس رفضاً لهذا الاعتدال او هـذا التوجـه، لكنـت اتحفـظ علـى الأمل في الاعتـدال، وخطاباتـي تلقـى رضـاً حتى في اوسـاط المتعصبيـن» مؤكـدا اهميـة الاعتـدال وتقريبـه للمجتمعـات والأفـراد والأنظمـة «الاعتـدال جميل وأقرب الى الحق والحقيقـة، المعتـدل لا ينقلـب الى التطـرف، والمتطـرف ينقلـب الى الاعتـدال او الأكـثر تطرفـاً، والمتوسـط عمـراً بإمكانـه أن يكون شاهـداً، وأن يشـارك في ترجيـح الاعتـدال علـى مستوى الدولة، وأن تـودع المسألة في عهدة الشباب المتعلم والمثقف، ولديه معرفته بمجتمعه، وذاته وأكثر اقترابا للواقع».

ويطالـب فحـص بتكويـن جـزر للحـوار والتقريـب بيـن أصحابها، حتـى لو احتاجت إلى وقـت طويـل، موضحـاً «أدعـو الى تيار الاعتـدال، وتكويـن جزر للحـوار، والوصل بينهـا حتى تثمـر، علينـا ألا نستعجل، نزرع نخيـلاً لا وردا، الـورد جميـل، لكـن النخيل يحتـاج الى وقت طويـل، وحكمـة، وصبرا، وأكثر قدرة على الحياة ومواجهة العواصف والجفاف والصقيع».

الأسئلة الأولى

ويقول فحص عـن اروقة الدراسة في حوزة النجـف التـي تلقـى فيهـا علومـه الفقهيـة والثقافيـة والفكرية المختلفـة «هناك تعرفت إلى الآداب والفكر، والعالم في النجف حوزة تقليديـة اساس عمارتهـا الحريـة، وكانـت منفتحـة على ريـاح خارجيـة، وفي محطات كثيـرة كان للنجف دورها الرائـد، وانفتحتْ علـى ادب المهجـر وأتيـح لي أن أقـرأ بـدر شاكر السيـاب وادونيس ومحمود درويش، وارغون، واليوت، وبريجير».

ووسعت الأسئلـة مدارك فحص، كما يوضح «تعلمنـا في النجف أن ننغمـس في السؤال، ونقـرأ ماركـس وسارتـر ومجلـة الطليعـة والهـلال، وأن نناقشَ الأمـور وننشغل بين الثابت والمنهـج، وقرأنـا نهج البلاغـة، كما قرأنـا لابـن عربـي والحـلاج وحلـم العدالة والإبداع».

ويحكي عن حبه للقائـد الثوري غيفارا الذي اصبحـت صورتـه وأفكاره محـط إعجـاب العالم بأسـره، وأنها كانت قد وجدت طريقها الى النجف ايضا، ويقول «أحببت غيفارا ولم تجر إدانتي عندما علقت صورته في بيتي في النجف، وإنما كانت هناك دهشة؛ دهشة غير مألوفة، لم أعاقب عليها بالمعنى الحوزوي، ولم أعاقـب علـى الأسئلـة و الشغـب، حققت محبـة في اوساط من اختلف معهـم»، مؤكداً أنه يتمنى أن تتحـول تلك الصورة إلى مناح كثيـرة في الحياة، بعيداً عـن التعصب لرأيٍ واحـد، أو رؤيـة تصادر غيرها من الرؤى، مطالبـاً بالقبول بالآخـر، والحرية «من دون عنف مرجعي مباشر أو غير مباشر».

قراءة جديدة

الاعتدال هـو الفكـرة التي يناضل من اجل تكريسها المفكر الإسلامي، وأساس حضوره وقبوله من قبـل الجميع ومـن كل الطوائف والأديـان، فالاجتهـاد الفكـري كان عنوانـه، ويقـول «في رأيـي أن مقولـة (النص توقف عنـد السنة) رأي مبالغ فيـه، لا يستطيع احد أن يمنـع الاجتهـاد، ولم يتوقـف، والخليفـة العباسـي (القـادر) لم يوقف بـاب الاجتهاد، لأن هنـاك موضوعـات مستجـدة، وهنـاك مستجـدات في الموضوعـات نفسها، لابد من تكييفهـا فكريـاً ومذهبيـاً، بسبـب المتحول، ودائمـا هناك جدل بين الثابت والمتحول».

ويتابـع «محمـود شلتوت والغزالي وآخرون مجتهـدون، العيـب على الدولـة حين تحاول إتباع العالم والفقيه، وهذا حصل في الوسط الشيعـي والسنـي معـاً»، مبينـاً أن الاجتهاد غير المنظم وغير المضبوط، ينتج الآلاف ممن يدعون بالمجتهدين، وهم غير ذلك.

ويـرى فحـص أن «الحصيلـة التجديدية في التـراث الشيعـي ليست اكثـر من غيرهـا، الإشكاليـة إسلامية عامـة، في رأيي أن الذي يميـز الشيعـة هـي مسألـة التقليـد بالمعنى الفقهـي. العـالم السنـي مهمـا بلغ من العلم فتواه غير ملزمـة والمرجع ليس هو بل الذي يقلـده، بينمـا الشيعي ملزم بتقليـد المجتهد، وهـذا عامل تماسـك وعامل ضبـط، لذلك أنا لا أخـاف من ممارسات السلبيـة المحدودة عند الشيعة او التوتـرات الحادة التي تظهر احيانـا ومـن شأنهـا أن تستمر، لأن هنـاك ضوابط بسبب المرجعيـة. بينما في الوسط السنـي تقريبـا المرجعية مهـزوزة، ومن هنا يأتي التعدد والانشقاقات الدائمة، وتكوين الجماعات الفرعية المتناحرة».

ويؤكد المفكر الذي يعتمد الخطاب العلمي في قراءتـه وتحليلـه أن «العلاج هـو في تشغيل او تنشيـط التعدديـة المرجعية علـى اساس المعاييـر العلميـة، والأخلاقيـة وهـذا يحفظ الحريـة والأخلاقيـة في الممارسـة الدينيـة، بينمـا المطلـوب عنـد السنـة اعـادة تكويـن المرجعية بمعنـاها الذي يتضمن الالتزام، من دون عنـف مرجعي مباشر او غـير مباشر» ويشـير «من هنا بالذات، من وجود المرجعية وتعددهـا، تأتـي حريـة الشعـب في قـراءة النص ومراعاة المسجد والمعرفي والحياتي في أوساط رجال الدين والعلماء المدنيين».

ويبـين في هـذا السـياق التحليلـي المشكلة كمـا يراهـا «في الوسـط السنـي المرجعيـة غـير متحققة، والتقليد يأخـذ طابعـا ماضويا تصبـح فرصـة اعـادة قـراءة النص علـى ضـوء المستجـد او نسبـية القـراءة ضيقـة، وفي وسـط الفقهـاء خصوصـاً أن الفقهـاء محكومون بالمـزاج الشعبـي (الجمهور)، ما يفسـر أن الفكـر التجديـدي السنـي في هذه الفتـرة يـكاد ينحصـر في علمـاء مدنيين في الدائرة الإسلامية».

ويضيـف «عندمـا تعزلنـي انعـزل، وكما انت تنتـج فكر العزلة انا ايضا انتج فكرة عزلتي، وعندمـا تتسـع مساحات الاختـلاف تضيق مساحـات الاتفـاق، يصبـح التعـدد مشدودا الى الصـراع بـدل الحوار، علماً بـأن العيش المشـترك ثمـرة الحـوار، ينتجـه المجتمـع ويحميـه العلمـاء وتحرسـه الدولـة. فـإذا قصـرت الدولة وقصر العلمـاء يختل العيش المسـاواة هو الكف عن اسلمة قضية القدس لأن الأسلمة، بالمحصلة النهائية، تفيد الأسرلة».

ويضيـف «لنتذكـر إشكاليـة الناصـرة بـين المسجـد والكنيسـة التي ادخلـت (اسرائيل) لا تريـد اعتـدالا، الاحتلال محـرج للتطرف، تريـد تطرفـاً حتـى تبـرر تطرفها، علينـا أن نتشـارك نحـن والمسيحيـون خصوصـاً، مع اليهود، في قـراءة أخرى من الـ١٠ لا يجـوز تضخيمهـا وجعلهـا بديـلاً للأكثريـة، ولكـن علـى الأكثريـة أن تحـترم اكثريتها ايضـاً، أن تتخلى عن بعض حصتها مـن اجـل استقطـاب الأقليـة وتحويلهـا من العـدد الى المعنى، لأن في ذلـك حفظاً لمصالح الأكثرية وثقافتها».

ويؤكد أن تهميـش طائفة على حساب أخرى لـن يكـون لمصلحـة فكـرة الدولة، ويوضـح «إذا تم مثـلا تهميش المسيحي في لبنان فلا داعي لوجـود لبنان، اضافة الى أن الأقليات مصدر حيويـة، ومـن دونهـا يصبـح معنـى مصر ولبنـان والأردن وفلسطين ناقصاً، وتغيب النكهـة الجميلـة للمسلـم في هـذه الأقطـار، والتي تأتـي من خـلال مشاركته مع المسيحي في الحلم والحـزن، في القدس وفلسطين، في الأقصى والقيامة»، ويستطرد «عندما يُهمّش المسيحيـون في لبنـان يصبح كيانـاً فارغاً لا داعي لـه، الخطر إخـلاء فلسطـين والقدس مـن المسيحيـين، والأرقـام تقـول إن نسبـة المسيحيـين ٢٠٪ الآن في العـام ١٩٦٧ ٢٪ عـدد المسيحيـين، في عـام ١٩٦٧ في القدس كان عـدد المسيحيين ٥٠ ألفاً، الآن ٥٠٠٠ هذا تهويد حقيقـي. المدخل الحقيقي لتجنب هذه المأساة هو الكف عن اسلمة قضية القدس لأن الأسلمة، بالمحصلة النهائية، تفيد الأسرلة».

ويضيـف «لنتذكـر إشكاليـة الناصـرة بـين المسجـد والكنيسـة التي ادخلـت (اسرائيل) على الموضـوع الاجتماعـي، وكادت أن تودي بوحـدة المجتمع الفلسطيني، فلسطين والقدس حق للجميع، حـق مستلب للإنسان الفلسطيني، هـذا المفهوم يجب أن يترسخ في نظامنـا وحوارنـا مـع العـالم». وخلص الى القول «نحـن قبلنا في باوسلو، وأوسلو لم تقبـل بنا، كنـا مع (أبـو عمـار) والآن مع أبـو مازن الـذي يمثل الاعتـدال، (اسرائيل) لا تريـد اعتـدالا، الاحتلال محـرج للتطرف، تريـد تطرفـاً حتـى تبـرر تطرفها، علينـا أن نتشـارك نحـن والمسيحيـون خصوصـاً، مع اليهود، في قـراءة أخرى من

هاني فحص مع وليد جنبلاط في تظاهرة دعم للشعب السوري

اجـل انسنتها». وعبر عن تخوفه إذا استمر الصـراع بـين الديانـات «إذا ظلت الأديـان التوحيديـة تتصـارع بهـذا الشـكل، وتـرك موقعها المسؤول للمتطرفين من المنتمين لها، فسوف تبحث الأجيال عن دين آخر قد يكون هو اللادين».

أيام عبدالناصر.. أجمل أيام العرب

ويرى فحص أن أفضل المراحل التي عاشتها الأمـة العربيـة هـي مرحلـة الزعيـم الراحل جمال عبدالناصر، ويوضح «خطأ أن نقول إن الحروب تخلق العصبيات. ذاكرة العصبيات تخلق الحروب، هناك نقد للمرحلة الناصرية في مصـر، لكـن في تلـك المرحلـة ازدهـرت الروايـة والمسـرح، فالكتابـة المسرحية فيها تحـد، وهذا يحتاج الى نظـام سياسي. العلة في النظام المعرفي، أليست مشكلة أن مسرح المدينـة في بـيروت مغلـق؟، وبـيروت الأم فيهـا احتمال واحد يقوم بـه المسرحي جواد الأسدي من خلال مسرحه».

وتسـاءل عضـو الفريـق العربـي للحـوار الإسلامـي ــ المسيحـي عـن دور الجيل الذي يجـب أن يكمـل المسيـرة «في السينمـا بعـد أن مـات المخـرج يوسـف شاهيـن هنـاك ١٠ أشخاص يمكـن أن يكونوا يوسـف شاهين الجديد، أين الفرص المتاحة لهم.

هاني فحص

المفكـر الإسلامـي والكاتـب الدكتـور هـاني فحص مفكر لبنـاني، ولد في الجنـوب عام ١٩٤٦ من خريجي حوزة النجف عام ١٩٧٢ يكتب في صحف ودوريات عربية عدة، وله مؤلفـات كثيرة تُعنى بإعلاء قيمـة الحوار، ونظرات في السياسة من منطلق فكري، ومن أهم كتبه «في الوحدة الإسلامية والتجزئة»، و«التهويد الثقافي»، و«ملاحظات في المنهج، المسرح»، و«الحوار في فضاء التوحيد والوحدة». وشارك في لقاءات عدة للتقريب بين الأديان، والمذاهب المختلفة.

إشراك اليهود في الحوار

ويؤكـد فحـص أهميـة اشـراك اليهـود في الحـوار، بـل أشـار الى أن «الإسـلام كـدين عاملهـم بشراكـة في غـير مرحلـة، وكانـوا جـزءا مـن المجتمـع العربـي، وفي الأندلس كان المشـترك مـع اليهـود والمسلمـين كبيـراً، وعلـى اساسـه بنيت التجـربة الحضاريـة تحـت مظلـة التوحيـد، وعندما خـرج اليهود معنا احتضناهـم وأشركناهم من المغرب الى اسطنبـول مـرورا بدمشق والقاهـرة، وقلة قليلة جاءت الى القدس».

ويـرى عضـو الفريـق العربـي للحـوار الإسلامـي - المسيحـي أن «المشكلـة هـي في اختـزال الصهيونيـة لليهوديـة، نحـن قبلنا بهـذا الاختـزال، ولا نبحـث عـن اليهـودي وهـو موجـود في فلسطين والعـالم، منظمة التحرير الفلسـطينية طرحت مبكرا مشروع الدولة الواحدة، وأفسدته الخفة العربية في التصـرف، والتي اعطت غولـدا مائير ذريعة محاربة الاطروحـة ومنع تطبيقهـا، وجمال عبدالناصـر قبل المشـروع، وكان منتظرا أن يحصل تواصل عبر المغرب».

جريدة *الامارات اليوم* ٢٠٠٩

مذكرات السيّد عن ماضيه العابق بالأحلام

ريتا فرج

في المؤتمر المسيحي الاسلامي

لا يبدو أن السيد هاني فحص في سجله المفعم بالذكريات وعبق التبغ والزيتون والزعفران، أشد ميلاً لماضيه رغم قلقه المعرفي، الذي يطرح أكثر من سؤال عن ذاكرة جيل كامل، كونته طيبة التراب، وعرق الفلاحين، وهواجس الغد القادم. "ماضٍ لا يمضي" في جزئه الثاني، ولغته الكاشفة، وسرديته الإيقاعية، وانتقاله من حال الى حال، يعيدنا الى ذاكرة جنوبية مثقلة بالأمل، والمستقبل المنشود، وهو إن دلّ على شيء، فعلى تبلور الطبقة القادمة من الأرياف، الى بيروت، ودخولها في البرجوازية، عبر العلم والثروة، تلك المدينة، الحاضنة للتعدد، التي لطالما ترصدها السيد منذ طفولته وتعرفه على الآخر بلا قناع ديني، أكسبته انتصارات وانكسارات، على قدر ما مر به، هو وأبناء جيله، من صعود وهبوط، أوصلتهم الى ذروة الضوء حيناً، والى وادي الدموع حيناً آخر. كثيفة المشاهد، التي تطرق اليها فحص، وبدءاً من الصفحات الأولى، يدرك القارئ، أن المشترك الاجتماعي والثقافي والسياسي، يمثل صلة الوصل الممتدة بين فصوله، الى أن يحل بنا المقام لاكتشاف معان مزدوجة، ومضطربة، في محطات سيرة الكاتب الذي اكتسب مكوّناته عبر هذا المشترك ومن خلاله.

يؤرخ هاني فحص لبانوراما تاريخية، وإشكالية، يتحرى عنها مع أقرانه، مع شعور بالفارق المعرفي والمكاني، يظهره في فترة لاحقة، من دون أن يتوانى ولو لحظة عن نسيان جذوره، بعد أن تنقلت به التواريخ والأحداث بين النجف وحركة فتح والبسار، مع عودة جديدة الى لبنانه، الذي أمن إثر مرحلة التيه والتعصب، بأنه البديل الأمثل لتعدده، وتثاقفه مع الآخر، الذي نقله من نور الى نور، أي نور الكشف، الذي لا يخوضه سوى أبناء التوحيد، من الذين أنعم عليهم الله بلطفه، أي لطف العقل، متعددة المشاهد في سيرة السيد وانتقالاته، وبين الزيتون والتبغ والزعفران، رسم ملامح ذاكرته الحاضنة، لجيل كامل، عانق المعاناة، بأمل، تلحظه مع الكاتب داخل الفصول، المتعاقبة، والأهم، أن السيد يتحدث، بلهجة خجولة، ولكن جريئة عن نادية، زوجته، وشريكته، وربما يكون أول رجل دين يخوض غمار الأخر الحبيب، وفي هذه السطور، يشير الى ضمير الغائب، كأن يقول "اليها" و"هي" و"معها" مع العلم بأن التفكير يختلف عن الاعتقاد كما يؤكد، مطالباً في الوقت نفسه المعممين الجدد، بإستكمال ما بدأه.

انتسابه الى حركة فتح في أزمنة الغوران اليساري والقومي، لم يخف توجسه من مشروع الدولة الإسلامية، لكن متاخراً، ومعاصرته لمنتظري، الذي قال عنه قائد الثورة الإسلامية قبل أن يتخذ القرار بعزله، "إنه ثمرة روحي"، ومعاينته للثورة الخمينية الخفية، وإيمانه بالسيد موسى الصدر، تؤطر كل هذه المحطات والتقلبات، التي ربما ساهمت في تشكله الراهن، لأبرز التحولات الداخلية والاقليمية، التي خاضها على مرمى قلق الشيعية السياسية، التي تعانقت مع حراك كثيف، أخرج من أسماهم هشام جعيط بـ"مجال علي" من الظلمة الى النور، إيماناً منهم بعقيدة اعتراضية، على ظلم سياسي، وليس دينياً؛ عقيدة حولت الحسين من رجل الى تاريخ في عقيدة رجال.

شعار الوسطية الذي تبناه فحص بعد صولاته وجولاته في ديار الإسلام المترامية، سياسياً، وإماماً، وذلك بعد أن اكتشف أهميتها في التسويات، مستشهداً بعمود السما، كمال جنبلاط الذي قال: "التسوية هي الحق والحقيقة"، عاينها عبر تجربته في ابواب متعددة، محدداً فعاليتها، في الاجتماع والثقافة، والدين، والرؤية الى الآخر. وفجأة يظهر جمال الدين الأفغاني، الذي أرهق الناس في مذهبه، فإستدرك الكاتب في لحظتها، ندمه على عدم تتبعه للأدبيات الأفغانية، معلناً انحيازه له، تحت لواء تعددية الإسلام وليس التناحر بين مذاهبه.

الشخوص والأزمنة والروائح والأمكنة التي كوّنت ماضي الكتاب وغده، تختفي وتظهر في آن، ولو أردنا أن نصف ونحدد ماهوية السيد لقلنا إنه يختفي ويظهر في الوقت نفسه – هذا الأسلوب المعتمد من قبل الكاتب أضفى على ذكرياته، تقطعاً في المعلومات، وما إن تتعقب أي حدث حتى تشعر بضياعه من بين يديك، وفي المقدمة، ينوه فحص بخاصيته، وانتقاله من زمن الى زمن، ومن الذاتي الى الموضوعي، لكن عن عمد أدرك أهمية سرديته وحجم سطوتها على القارئ.

"ماضٍ لا يمضي" سيرة تتخطى الزيتون والتبغ والزعفران، وبصرف النظر عمّا تكتسبه من رونق وألم ومخاض أسهمت بكليتها في تكوين جيل السيد ومن بعده، لكنها تحاكي أجيالاً متعددة، في أزمنة وأمكنة مختلفة، وتجربنا على مساءلة المعاني والمصائر والماضي الذي بدا لهاني فحص أجمل وأحوى من المستقبل الوافد.

[الكتاب: ماضٍ لا يمضي (٢)
[الكاتب: هاني فحص
[الناشر: دار المدى، بيروت، ٢٠١٠

عن جريدة *السفير*

ساعتان من المتعة الفكرية مع هاني فحص

محمد حجازي

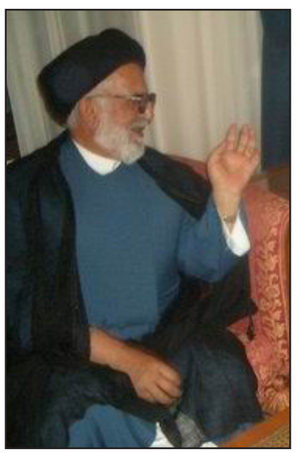

نادراً ما أمتعنا لقاء أدبي، لأننا ندري ثقل المطوّلات في الابحاث، والشروحات غير المجدية التي نستمع اليها، ولا يعود احد من المتحدّثين قادراً على التوقف عن الكلام، تماماً كما يحصل بين المطربين الذين يكون معظمهم عارفاً ببرمجة حفل ما، إلا أنهم حين يباشرون دورهم في الغناء، ينسون ما سبق وعرفوا ببرمجته بوقتهم ووقت زمائهم.

التقلسف ميزة شبه شاملة.

لكن كل هذا لم يكن حاضراً في اللقاء التكريمي الذي عقده المجلس الثقافي للبنان الجنوبي في مقره ببيروت احتفالاً بنبيل الشاعر الدكتور محمد علي شمس الدين جائزة السلطان بن علي العويس الثقافية، ذهبنا احتراماً وتقديراً ومودة لشعر وشخص الشاعر شمس الدين فكلما قرأناه ازددنا ثقة بأن من الكبار ما زال حاضراً، رغماً عن كل الغيوم المتلبدة في سماء الشعر من لاعبين صغار يقولون ما لا نفهم ونفهم انهم لن يترا جعوا وهم في غيّهم ماضون.

ما يقارب الساعتين.. أمضيناهما في متعة فكرية حقيقية، بداية احببنا تواضع الشاعر وأناقته وقلة حديثه عن نفسه وشرحه لأسباب تأخر الجائزة عنه فكان لطيفاً غير انفعالي، وأديباً غير مدّاح او دبلوماسي كاشفاً أنه كان مطروحاً لنيل اولى جوائز العويس لكن هناك ما حال دون ذلك لسبب ذكره ولم يكن يحب ذكره، كرد على اشارة في شهادتي للدكتور والناقد علي زيتون عن شكوك في تأخر الجائزة حتى الآن، ثم والاه الشاعر على هاشم في قصيدته بالمناسبة، لولا السيد هاني فحص اطلق شهادة طويلة نعم، واخذت وقتاً اضافياً ربما من باقي الحضور الذين ادلوا بشهادات، لكنها كانت جديرة بالنشر بالكامل ومن دون حذف اي حرف او نفس منها، كون المطالعة اشتملت على معرفة وطيدة بالشاعر، وعلى مواكبة طويلة، دقيقة، وعلى اوقات رحبة كانا فيها معاً، فيما راح في كل مرحلة يعطي، رأياً في حقبة معنية من حياة وابداع ووفرة التدفق الشعري عند شمس الدين مذكراً اياه على الدوام بعريصاليم وبيت ياحون، مدققاً في هوية كل قصيدة اتى على ذكرها، لا بل هو تعقبه منذ «الوحام الاول له في القصيدة حتى ولادتها، واكثر ما اجاد حين ساءله عن امور كثيرة في يومياته: هل ينام، هل يأكل.. وألف هل تدليلاً منه على قصر المناسبات والفرص في حياته لكي يرتاح، انه يبدو كمن يكتب ليل نهار ولا يتعب او يتجهّم.

كان السيد هاني مباشراً، كان دقيقاً وفاعلاً ومتماهياً مع المناخ كله خصوصاً عندما حان دور شاعرنا المحتفى به، لكي يقول كلمته شعراً فإذا به يشرح ما سبق وقلناه في المطلع عن جائزة العويس والمبررات التي قدّمها حول تأخرها في بلوغ شعره، خصوصاً بعدما قال احدهم، انهم حين بلغوا مرحلة فهم شعره منحوه الجائزة، ولم يكن هذا ليرضي شمس الدين الذي برر للقيمين على الجائزة هذا التأخير.

وكان ان قرأ قصيدة نظمها في بداياته قبل اربعين عاماً.

قرأها لأن ما فيها يتناسب وايامنا هذه منذ عام وبعضه في عدد من الأقطار العربية التي عرفت تحوّلاتها بالربيع العربي، فإذا بالقصيدة مضمّخة بالدماء بالضحايا، بالكثير من التداعيات والهدم، بكل ما يخطر في البال من حزن.. وأعطى شاعرنا المبرر لما حصل معه في القصيدة ليقول: إن كل شاعر لا يرى الغد أو لا يرى أصلاً فعليه ألا يكتب ويدّعي الشعر...

كان لقاءً أنيساً، مغذياً للفكر والقلب والوجدان، ما أحسسنا ولو للحظة بأننا ضيعنا وقتنا، بل نحن وفلفناه في اروع جلسة يمكن لمتابع ومراقب ومتذوق ان يفوز بها في غمرة الحراك الثقافي الراقي على ساحتنا، مع خيرة من المفكرين القادرين بعد على اسرنا بنتاجهم وخطابهم وبلاغتهم.

عن جريدة *المستقبل اللبنانية*

مع الرئيس طالباني وفخري كريم

تمرين عراقي على حماية التعدد العربي

نستطيع ان نتكل على وطنية عراقية عميقة وعامة ومجربة، لنستبعد أي مشروع سياسي يمكن أن تقدم عليه الجمهورية الإسلامية في إيران بخصوص العراق، خصوصا وأن الجمهورية قد اكتشفت بالملموس أن هذه الوطنية هي خيار عراقي عموما، وخيار شيعي خصوصا، وهذا أصلح لمستقبل علاقة إيران بالعراق والعراقيين من مشروع تتحكم فيه رؤية إيرانية وحيدة الجانب، تجعل إيران بالضرورة في موقع المتحمل لكل ما يترتب على ذلك من سلبيات، بينما تستطيع إيران، قياساً على تجربتها المدروسة مع التجربة الأفغانية بعد طالبان، أن تحرز حضورا وفعالية في الحالة العراقية خالصة من الشوائب، لا تقوم هذه المرة فقط على الانسجام المذهبي الذي تختزل فيه مستويات متعددة ومعقدة في تركيب الفرد والمجتمع العراقيين، ما لا يمكن عزله أو منعه من التعبير عن نفسه في بنية الدولة الإشكالية.

هـــاني فحـــص

إذاً، قصارى ما يمكن ان تقوم به إيران بالشراكة مع كل المعنيين من العرب والمسلمين بالشأن العراقي، وبما يتصل منه بشؤونهم بشكل خاص، هو ان تعمل بالتناغم مع العراقيين على اختلاف أمزجتهم وحساسياتهم على استنهاض حوار أو حتى سجال ديموقراطي طال الزمان على منعه وكبته، بحيث صار يبدو وكأنه ملغى من تكوين العراقي. وإن لم يتم هذا الاستنهاض، فإن الحرمان التاريخي المتراكم والبالغ ذروته في العهد الصدامي الطويل والثقيل، سوف ينفجر صراعاً لا يمكن تعداد أطرافه والمتورطين فيه، لأنه سوف يؤول عاجلاً الى حالة إنقسامية حادة داخل كل طرف من أطرافه. وهذا من شأنه أن يفسح في المجال امام المشروع الأميركي المطلي بالكلام الديموقراطي أو الكلام عن الديموقراطية، لكي يتحوّل من مشروع تدميري إلى مشروع إنقاذي، تماماً على الطريقة التي حوّل فيها النظام البائد الحرب عليه من قبل التحالف، من عدوان في النظر العام، إلى تحرير في نظر شرائح واسعة من الشعب العراقي، جعلها القتل والتهميش لا ترى الأمور إلا من منظارها المفصل على أوجاعها وأشواقها إلى النوم، ولو ليلة واحدة من دون كوابيس.

هذا المسلك من شأنه ان يفسح في المجال لتركيب أطروحات أكثرية أي أكثر تمثيلاً للثوابت وتعاملاً مع المتغيرات، مما ينتهي إلى تضييق الهوامش وتظهير الحقائق التي ينبني عليها المستقبل العراقي، موصولا بموروثه الشعبي المقاوم والمعترض، حسب طبيعة وممارسة الطرف الآخر، أي ان التدريب على الديموقراطية والحوار وتوسيع المشتركات وتضييق مساحة الاختلاف والخلاف بين مكوّنات الشعب العراقي ومجموعاته القومية والدينية والمذهبية والسياسية، من شأنه، وعلى المستوى الشيعي، ان يدفع بالمرجعية النجفية إلى الواجهة، وإلى موقعها الذي اعتاد ذرية قدى الاستسلام وحجة على عدم جدوى الإعتراض.

هنا يحلو الكلام عن دور عربي غير مفكر فيه بواقعية وعقلانية يتناغم مع دور إيراني مفكر فيه بمبالغة ومعمول به بشكل يجعله أقرب إلى النفوذ الذي ستبعد المشاركة منه إلى الدور الذي يتكامل بالدور العراقي. يقدم المشورة والدعم لقوى النهوض العراقي، ويساعدها على الشفاء مما تبقى من حالات العصاب والرهاب فيها، من دون ان يكون هذا الدور المركب والمساعد مسكوناً بأوهام المحاصصة، لأن من يطمع بحصة له من العراق لن ينال شيئاً، ومن يطمح بعراق موحد ديموقراطي تعددي هو الذي يربح العراق كله.

على ان المفارقة العظيمة والجميلة والحضارية التي يجب على الجميع ان يسعوا الى تحقيقها في العراق لتكون علامة على مستقبل العراق، وقفاً على ماضيه المعقد والملتبس، هي ان يكون الأكراد والتركمان والأشوريون معاً شأناً عربياً أولاً، وان يكون الشيعة شأناً سنّياً، وان يكون السنّة شأناً شيعياً، سواء على مستوى الأشقاء والأصدقاء العرب والمسلمين او على مستوى الداخل جهة اخرى.

وهنا يتوافر للممانعة المحتملة والمطلوبة ضد أي مصادرة أو استتباع حاضنها الحقيقي وموجهها الذي يوسع نطاقها بمقدار الضرورة ومنع الضرر، ولا يدعها مجالاً للعنف العشوائي، الذي يفيد منه الأعداء في المحصلة، لأنه يتعرى من قاعدته الشعبية بما يرتكبه في حقها وفي معزل عن طموحاتها وقيمها، ويتحول إلى ذريعة لدى قوى الاستسلام وحجة على عدم جدوى الإعتراض.

وليس الرئيس ماندیلا الذي نحترم ونحب أجدر منا بإبداع المصالحة والمصارحة، ولا نحن عانينا من بعضنا بعضا أكثر مما عاناه شعب جنوب افريقيا في زمن طويل وقاس من التمييز العنصري، ولنا في رسول الله (ص) أسوة حسنة هذا أو ان استذكارها والتمثل بها واتباعها «يا معشر قريش ما تظنون اني فاعل بكم؟ قالوا أخ كريم وابن أخ كريم، قال: فاذهبوا فأنتم الطلقاء». كلنا بحاجة إلى سلوك نبوي على موجب التأسي والاقتداء الممكن دائما، أي ان يطلق كل منا سراح الآخر لينطلق سراحنا جميعاً ومعاً. أمام المخاوف التي يعبر عنها بواقعية مرة ومبالغة شديدة مرة اخرى والتي تأتي من جهة من يسمون أنفسهم ويسميهم أهل العصبيات المغلقة (أقليات) من المسيحيين والعلويين والدروز والشيعة أو السنّة والأكراد والتركمان والصابئة والأيزيدية.. وحتى لا يتحمل الربيع العربي مسؤولية أي اقتراف سلبي تجاه هؤلاء جميعاً.. من الضروري المبادرة الجادة إلى برنامج لحماية التعدد العربي.

(المصدر جريدة السفير البنانية)

http://www.almadapaper.net - E-mail: almada@almadapaper.net

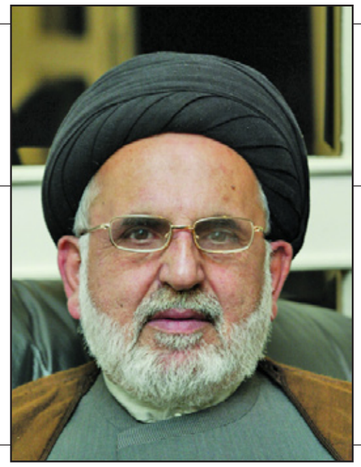

سامي كليب: مرحبا بكم إلى حلقة جديدة من برنامج زيارة خاصة. أول رسالة من ياسر عرفات إلى الإمام الخميني نقلها ضيفنا، وأول سجن عرفه كان في خلال دفاعه عن مزارعي التبغ هنا في الجنوب اللبناني، وحين ذهب إلى النجف في العراق ليدرس أصول الدين وضع صورة تشي غيفارا في غرفته، يسعدني أن أستضيف السيد هاني فحص.

سـامي كليب

هاني فحـص.. في السياسـة والفن والدين

سامي كليب: الصبر كان ضروريا لهاني فحص في حياته، حاول القفز فوق المصير المحتوم آنذاك لأبناء قرى الجنوب مصير زراعة التبغ فقصد النجف عام ١٩٦٣ ليعود منها إماما ولكنه في النجف وفي قريته بعد أن عاد إماما بقي معبرا عن انفتاح أقلق بعض المتزمتين وأنعش روح الحوار والانفتاح بين الحداثيين، وهل صحيح أنك وضعت صورة تشي غيفارا في غرفتك في النجف؟

هاني فحص: إيه وصورة المطران كبوجي، صورة غيفارا شلتها بسرعة، صورة كبوجي طولت.

سامي كليب: شو السبب؟ قُمعت؟

هـاني فحص: يعني إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، يعني أسرعت، وبعدين أنا سئلت يعني أنت ليش حبيت غيفارا؟ أنا قرأت مذكراته، قلت لهم حبيت غيفارا لأني قرأت "نهج البلاغة"..

سامي كليب: حلو.

هـاني فحص: وحبيت غيفارا لأنه عانى ما يعانيه أنه راح قعد مع الفلاحين بوليفيا ترك السلطة وراح على بوليفيا قعد مع الفلاحين، ظلوا يتعاملوا معه بمحبة وثقة إلى أن عرفوا أنه هو ثوري، بطلوا ويمكن هم وشوا فيه وبالأخر هم خسروه، هذا العناء لحامل فكرة التغيير بصرف النظر عن كونها واقعية أو غير واقعية وبعدين غيفارا هو الآن أنصف، رح يصير رمزا كاثوليكيا وإنجيليا أيضا.

سامي كليب: صحيح. على كل حال سيد هاني فحص يعني حتى بتجربتك الشخصية..

هاني فحص: (مقاطعا): وكاميليو توريس أنا حبيته كثير، هذا الذي قلته الدولة والكنيسة والحزب الشيوعي.

سامي كليب: لا ولكن أنه هو الامتداد أو انفهم الموضوع وكأنه كان عندك إعجاب بالتجربة الإشتراكية الشيوعية إذا صح التعبير، كان في هذا الإعجاب؟

هـاني فحص: لا، لا، كان عندي إعجاب بحلم العدالة اللي ممكن الآقيه برأس المال عند ماركس أو عند إنجلز أو عند كثيرين بس يعني المشكلة أن النظام المعرفي الماركسي ما قبلته أدوات التحليل ما قبلتها..

سامي كليب: ولكن من يولد بجبشيت..

هـاني فحص: وما شفت ماركسي عربي حقيقي يضفي على الأطروحة الماركسية على المنظومة الفكرية الماركسية شروطها العربية، بمرها، ما شفت. إضافة إلى ذلك هي أنه إشكالية الماركسية من ضمن الحداثة كثير بسطت مسألة الشخصية، كثير بسطته وقياسا على تجارب أخرى، ما بعرف إذا كان ماركس بهالشكل حتى نصه عن الدين أفيون الشعب مبتسر مأخوذ من نص أطول..

سامي كليب: صحيح.

هـاني فحص: بده قراءة أكثر تركيبا وبده قراءة ماركس كمان مش بس من فيورباخ، بده قراءة أكثر قراءة بالتاريخ قراءة بالاجتماع. فلا ولا مرة كنت ماركسيا ولا مرة كنت لأنه عندنا يعني.. بس الحلم حلم العدالة من سبارتاكوس إلى الآن بعدني بأحلم فيه.

العلاقة بالأرض وبدايات النضال السياسي

سامي كليب: الحلم عند السيد هاني فحص بقي رفيق حياته ومن يقرأ مؤلفاته يدرك كم أن لمفهوم الحلم دورا كبيرا في كل ما فعل، فهو أراد أن يصبح خياطا كبيرا في بداية حياته ثم أن يصبح ثائرا فانضم إلى فتح فالثورة الإيرانية وحلم بأن يصبح رجل دين ذائع الصيت وحلم بأن يصبح أديبا وشاعرا، ولو اختصرنا حياته اليوم لوجدنا أن فيها جزءا من كل ذلك، كيف لا يحلم من ولد هنا في قرية كان ناسها ذوي ألفة ومحبة قل نظيرها.

هـاني فحص: القرية كانت في طفولتنا وحتى فتوتنا يعني حتى أوائل الستينات كانت أهدأ كان الناس يسمعون أصوات بعضهم وينادون بعضهم من أقصى القرية إلى أقصاها وممكن يوصل الصوت إلى البرية أيضا، حتى المؤذن كان يؤذن بدون مايكروفون كان صوته عذبا يشبه الندى يشبه صوت العصافير اللي كانت عاملة حالة أوركسترالية بكل القرى، كان عدد السيارات التي تمر بالقرية أو تنقل ركابها إلى المدينة ما تتجاوز ثلاث أو أربع سيارات وتمر بهدوء وتتحرك بهدوء وكان فضاء القرية كثير مفتوح يعني كنا نشوف القرى الأخرى اللي حوالينا من أي مكان ونشوف السيارة من بعيد، كان الفضاء مفتوحا وإن كان فضاؤنا إحنا فضاؤنا الذهني كان محدودا، انفتحت مع انتشار الراديو بأواسط الخمسينيات وصرنا نتابع نفتح ذهننا أكثر في الوقت اللي كان أفق الضيعة عم يتراجع عم يضيق، فهذا شأن الحياة جدل الحياة.

سامي كليب: ابن جبشيت ابن مزارعي التبغ والبيوت الفقيرة ابن الأرض الطيبة التي أنجبت علماء في جبل عامل وشعراء وأدباء بقي حاملا الأرض في كل رحلته العلمية والدينية والأدبية والسياسية فسجن في مستهل شبابه لدفاعه عن أبناء الأرض، وإلى هذه الأرض عاد إماما ولكن أيضا أديبا وشاعرا ومقاوما وناهجا طريق الحوار.

هـاني فحص: إيه فعلا أنا حتى بقراءتي للرواية يعني الرواية اللي بيكون مسرحها الأرض والفلاحين هي الأقرب إلى وجداني.

عبد الرحمن الشرقاوي، "فرافير" يوسف إدريس، يحيى حقي، إيه الرواية اللي بتطل على الريف، جبور الدويهي بلبنان، توفيق يوسف عواد، "يوميات نائب في الأرياف" عند توفيق الحكيم، المنفلوطي، فلان.. إيه فعلا هذه لقطة مهمة هذه أنه أنا بأقرأ ديستويفسكي بأقرأ "المدينة" بأقرأ "سمرامبس" بأقرأ "أولاد حارتنا" بس بعدها الأرض بروايات عبد الرحمن الشرقاوي بعدني بأعيشها. الأرض بتعدي الأرض بتودي عالأرض، الأرض بتودي عالناس –والناس بيتقاتلوا مثل ما بيقولوا– الأرض بتودي على الورد الأرض بتودي على الشعر على الهدوء على الإصغاء، أنت مضطر بالريف تصغي.

سامي كليب: والأرض بتودي على السجن، دافعت عن مزارعي التبغ.

هاني فحص: والأرض بتودي على السجن إيه طبعا تعبير أبو تمام

رعته الفيافي بعدما كان حقبة

رعاها وماء القطر ينهل ساكبه

هـذه رعاية الأرض هي بتجسد.. رحت على السجن والله ما بأعرف أنا لما رحت على السجن بعد حركة مزارعي التبغ إجوا الجيش والدرك بدهم يأخذونا فتماسكنا، إحنا شي ثمانين واحدا وفينا خيارية، أحد الضباط –وهو صديقي الآن– قمت أنا أخذت قرآن وصرت أقرأ، وقف فوق مني وحامل.. فوق رأسي.. بأخر الليل وحامل البارودة وقال لي قم معاوية عملها قبلك. طلعونا على السيارة على الشاحنة رحنا على الثكنة ثكنة الجيش، حبسونا، نمنا، حاولوا يعملوا لي إخلاء سبيل، رفضت. حركة مزارعي التبغ بتعرف لوين وصلتني؟

سامي كليب: لوين؟

هاني فحص: وصلتني لأكتشف تناقضات اليسار اللبناني والحركة الوطنية اللبنانية لأنه صار تعاملي معهم بهديك الفترة يوميا وأوسع واكتشفت أما هذه مسألة الديمقراطية وكذا يعني أحد القيادات –ما بديش أقول مين هو– عم نعمل تواقيع لحتى نعمل نقابة مزارعي تبغ، قال لي أي تواقيع؟ بدنا شهرين بدنا نعجل زوروها، ماشي الحال، بدنا نسلم دخان كذا ما بعرف شو هو، حكى لنا شو منسوي مع الخبراء قلت له والله يكثر خيرك، المهم اكتشفت هالتناقض هذا وهذا اللي خلاني بتعرف شو؟ خلاني أروح من المسألة المطلبية اللي كنت أراهن عليها إلى المسألة القومية، رحت على فلسطين.

سامي كليب: فلسطين بقيت في قلب وأدبيات السيد هاني فحص ورافقته من النجف إلى لبنان، لا بل هي طبعت جزءا أساسيا من حياته ففي النجف حيث كان طالبا كانت مقالاته الأولى حول النضال الفلسطيني والثورة والتحرير، وحين عاد إلى لبنان ولج إلى قلب العمل الفلسطيني السياسي والفكري والعسكري وذلك حين كان أترابه من أبناء الجنوب يتاخون كفاحا مع فدائيي الأرض السليبة.

هـاني فحص: أنا بعد ١٩٦٧ أشرفت على مجلة عقيدة الفقه المركزية التي اسمها "النجف"، فلسطين موجودة في كل عدد أدبا وشعرا وقصة، أنا كتبت قصة وقتها عن المقاومة وأبحاث إلى حد التخمة، ما في نادي من أنديتنا ما كانش فيه فلسطين.

سامي كليب: طيب من هذه البذور طبعا انتميت على ما يبدو إلى حركة فتح.

هـاني فحص: بهاللحظة هذه رحنا اشتغلنا رحنا استصدرنا أنا مع صديق كتبنا استفتاء للسيد محسن الحكيم عن المقاومة ودعمها ماليا، ابتدأنا نعطي روا تبنا وزكاة الفطرة إلى المقاومة..

سامي كليب: رغم أنه كانت رواتب ضئيلة.

هاني فحص: ضئيلة جدا. وإجانا شخص رجعت تعرفت عليه بمحبة شديدة من قبل حركة فتح اسمه محمد حور كان بيجينا الدكتور محمد حور كان بيجينا إلى النجف ورتب لنا علاقة معه عبره إلى آخره إلى أن صار الاحتفال بذكرى الرصاصة الأولى وإجا أبو طارق محمد الشرفا وانخبصت النجف، النجف هاجت وماجت على هالمسألة وراحوا زاروا المراجع، فكنا بانذفاع غير عادي.

سامي كليب: تقول في الانتماء إلى فتح تعبيرا جميلا "وجدنا في حركة فتح فضاء رحبا يجتبئنا المصادرة والاستحقاق والحزبية الضيقة ويحمينا".

هاني فحص: نعم، إيه أنا هيك كانت بالبداية، جئت للبنان علاقتي بفتح من بعيد بمعنى مناصر للمقاومة ككل أدافع عنها..

سامي كليب (مقاطعا): لم تنتم إلى الحركة بشكل مباشر؟

هـاني فحص: (متابعا): إلى أن أصبحت معروفا بالبلد وابتدأت أنا ومجموعة من رجال الدين وعلى رأسهم السيد محمد حسن الأمين ومجموعة من الشباب المتدين أيضا نفكر بعمل سياسي، عندنا على المستوى الإسلامي حزب الدعوة إحنا من الأساس ما كنا حاملين أطروحته مش قادرين مش مرتاحين للأحزاب القومية لأسباب منعرفها ميدانية وفكرية وإلى آخره فابتدأنا نبحث عن صيغة عمل عن رؤية، فحاولنا نعمل رؤية وصدرنا مجلات على الستانسل وقتها، مجلة "الأرض" وكنا نوزعها وكتبنا مشروع رؤية تجمع بين القومي والإسلامي بين الوطني والقومي إلى آخره، محاولة، ثم أردنا أن نتكون سياسيا، طيب رح نتكون سياسيا بهاللحظة كأننا خارج الكل فالكل ممكن يمنعونا فبدنا نروح لعند حدا يحمينا، لقينا أن فتح بسعتها، لا حزبيتها، بكونها تمثل تعددية الشعب الفلسطيني وحساسيته ممكن تتعامل معنا دون أن تصادرنا، طلع مش دقيق هذا الكلام!

سامي كليب: بنهاية الأمر صادرتكم يعني.

هـاني فحص: بس استمتعنا بشوية حرية مجلة عقيدة الفقه المركزية اللي اسمها "النجف"، فلسطين موجودة في كل عدد أدبا وشعرا وقصة، أنا كتبت قصة وقتها عن المقاومة وأبحاث إلى حد التخمة، ما في نادي من أنديتنا ما كانش فيه فلسطين.

سامي كليب: طيب من هذه البذور طبعا انتميت على ما يبدو إلى حركة فتح.

هـاني فحص: بهاللحظة هذه رحنا اشتغلنا رحنا استصدرنا أنا مع صديق كتبنا استفتاء للسيد محسن الحكيم عن المقاومة ودعمها ماليا، ابتدأنا نعطي روا تبنا وزكاة الفطرة إلى المقاومة..

سامي كليب: رغم أنه كانت رواتب ضئيلة.

هاني فحص: ضئيلة جدا. وإجانا شخص رجعت تعرفت عليه بمحبة شديدة من قبل حركة فتح اسمه محمد حور كان بيجينا الدكتور محمد حور كان بيجينا إلى النجف ورتب لنا علاقة معه عبره إلى آخره إلى أن صار الاحتفال بذكرى الرصاصة الأولى وإجا أبو طارق محمد الشرفا وانخبصت النجف، النجف هاجت وماجت على هالمسألة وراحوا زاروا المراجع، فكنا بانذفاع غير عادي.

سامي كليب: تقول في الانتماء إلى فتح تعبيرا جميلا "وجدنا في حركة فتح فضاء رحبا يجتبئنا المصادرة والاستحقاق والحزبية الضيقة ويحمينا".

هاني فحص: نعم، إيه أنا هيك كانت بالبداية، جئت للبنان علاقتي بفتح من بعيد بمعنى مناصر للمقاومة ككل أدافع عنها..

سامي كليب (مقاطعا): لم تنتم إلى الحركة بشكل مباشر؟

هـاني فحص: (متابعا): إلى أن أصبحت معروفا بالبلد وابتدأت أنا ومجموعة من رجال الدين وعلى رأسهم السيد محمد حسن الأمين ومجموعة من الشباب المتدين أيضا نفكر بعمل سياسي، عندنا على المستوى الإسلامي حزب الدعوة إحنا من الأساس

في حفل للتضامن مع غزة

سامي كليب: طيب هل عندك تصريحات تقول فيها إن أجمل الفترات العربية كانت فترة جمال عبد الناصر؟ كنت ناصريا بمرحلة معينة؟

هـاني فحص: كنت، لا، يعني.. أنا ما كنتش شيء بالزمان بمعنى شيء بالمطلق وامشي، كنت ناصريا بس قلقا من.. يعني أحب جمال عبد الناصر، قلق، وبعدين يعني شفت أنه في جانبين بجمال عبد الناصر، في الجانب اللي بيخصنا كعرب شيء مريح عظيم الشعور بالذات بعد ضياع بعد تجزئة بعد كذا.

سامي كليب: و الجانب الآخر؟

هـاني فحص: الجانب الآخر مصر المركزية الاستبداد الحريات التجربة الاشتراكية غير المدروسة، وهذا لم يمنع يعني النهوض طبعا يعني كمان بدك تشوف شيء أخر في مصر، بدك تشوف أنه السد العالي، حتى القرارات الإشتراكية اللي ممكن نعترض عليها منهجيا ما منعترض على آثارها الإيجابية، يعني الحفاة بمصر اختفوا بذلك الوقت بس ما تأسس نظام مصري يراكم ولذلك الحفاة رجعوا الآن.

سامي كليب: على ذكر القادة العرب لك توصيف قاس جدا ضد الرئيس العراقي الراحل صدام حسين، هذا مبرر من وجهة نظرك طبعا ولكن كنت قاسيا..

هـاني فحص (مقاطعا): من وجهة نظري شو؟ الشيعية؟

سامي كليب: لا، ليس الشيعية، كرجل دين درست في النجف وتقول إن سبب انهيار النجف كان صدام حسين، وجهة النظر هذه.

هاني فحص: إيه كانت النجف لها دور، كانت لها دور رقابة أدبية على الدولة المركزية.

سامي كليب: السيد هاني فحص طوى مرحلة مهمة في حياته بعد أن توقف دوره في العلاقة بين ياسر عرفات والإمام الخميني ولكنه بقي يحمل فلسطين في القلب والوجدان ويضمها إلى همومه ومشاغله الأخرى، من لبنان حيث ترشح للانتخابات مرتين ولم يحالفه الحظ إلى العراق حيث لا يزال يلعب دور الجامع الموحد إلى إيران حيث يصوب الاتجاه، وهو في كل ذلك يبقى متمايزا في مجتمعه وطروحاته الحوارية المنفتحة.. لا بل وفي موقفه من الفنون الموسيقية والمسرحية والأدبية وغيرها، هل يسمع الموسيقا؟

هاني فحص: إيه بأسمع.

سامي كليب: أي أنواع؟

هـاني فحص: بأسمع وبس تعلمت يعني لما رحت من النجف أنا كنت هاوي موسيقا وغناء، بطلت.

سامي كليب: ومسرح.

هـاني فحص: ومسرح، المسرح ما زلت أعتني فيه ولي تجربتي فيه النقدية، أعتني بالمسرح كثيرا.

سامي كليب: صح وتكتب عن المسرح.

هاني فحص: عودت نفسي أني لا أسمع، ما عندي.. لذلك ما عنديش تقليد في سماع الموسيقا.

سامي كليب: طيب مسألة أخرى مسألة الحجاب هل هي بالنسبة لك مسألة ضرورية للفتاة المسلمة؟

هاني فحص: أنا أدعو إلى الحجاب بس أدعو إلى المحجبة قبل، ولما بتوصل المسألة مسألة معايير بالتعامل بالدور ما بيقاش الحجاب معيار عندي بمعنى ومش.. حتى للدين، أنا برأيي الحجاب شيء مهم ولكنه شكل ليحفظ مضمونا، إذا خرب المضمون الشكل ما بيعوض وإذا سلم المضمون يمكن يعوض عن الشكل بشرط أنه سلامته يعني بشرط أن المدينة.. المؤمنة غير المحجبة تلتزم بمستوى من الحشمة اللي أنا برأيي الجسد عظيم ولعظمته ينبغي حفظه وساعتها بيظل الجسد منبع رؤيا.

سامي كليب: طيب سألتك كل هذه الأسئلة سيد هاني فحص للذهاب إلى أبعد من ذلك، إلى الحوار مع الآخر، معروف أنك كنت من بين أوائل الذين دعوا وعملوا ونشطوا الحوار مع الآخر المسيحي أو المسلم هنا في لبنان ولكن ذهبت إلى حد أيضا الدعوة إلى الحوار مع اليهودي وهو أمر طبعا كان في بعض الأسئلة حوله، أنه كيف أن رجل دين شيعي يدعو للحوار مع اليهودي، أوليس في الأمر شيء من الاستغراب؟

هاني فحص: واللـه مش ملاقي أضعف مني لحتى أحاسبني على المسألة هذه؟ طيب الأخوان في إيران فاتحين على الآخر مع اليهود! شو بأسوي بـ ناطوري كارتا ومجموعة هذه جماعة الحاخام عامير ام، ليش ما بديش أحاورهم؟ شو بأساوي مع السامريين، ليش ما بديش أحاورهم؟ نعوم تشومسكي شو بأعمل فيه؟ طيب ما هؤلاء أهل كتاب، المودة لازم تسود.. صحيح بالتاريخ هم خربطوا والقرآن.. بس ما قطع العلاقة معهم والعلاقة معهم محفوظة بالكتابية بنصابها المعرفي الديني، بيبقى أنه عندنا إشكاليتنا الكبيرة –وأنا هون مشكلتنا مع اليهودية هذه– أنه بدنا اليهودي خارج الصهيونية، أنا برأيي تصهينت اليهودية، قديش فينا نشتغل على تهويد الصهيونية تهويد الصهاينة؟ هذه نظريا مقبولة عمليا مع اليهود بدها تدقيق حتى ما يوقع الإنسان في مطبات.

سامي كليب: الحوار الأبرز الذي رعاه وعمل له طويلا السيد هاني فحص كان مع الآخر في بلده في لبنان مع الآخر المسيحي فأقام المنتديات والندوات والمؤتمرات الحوارية ولا يزال يعتبر أحد أبرز رجال الدين وربما أبرز المدنيين العاملين في هذا الإطار.

هاني فحص: أنا أقول إن الحوار مثل زراعة النخل، بتطوّل لتثمر النخلة بس راسخة أكثر وعامة أكثر، السياسي بيشتغل على اليومي، بندورة وخيار ورز وفلان وفلان هؤلاء ضروريين، وبده يرعى النخلة بده..

سامي كليب (مقاطعا): أسألك سيد هاني فحص هل ضروري أن يبقى رئيس لبنان مسيحيا؟

هـاني فحص: بحسب ظروفنا المحلية والإقليمية نعم، إلى أن نقيم دولة الأفراد، طالما دولة.. وأنا برأيي بدنا نحرص، بدناش نفقد مكوننا المسيحي مش شفقة عليه شفقة علينا، بدون هذا المكون المسيحي فبدنا نخسر لحتى يظل شريكا فعليا وأنا برأيي من دعاة أن نكتب ميثاقا على أنفسنا، مش بس رئاسة الجمهورية الحفاظ على المناصفة.

سامي كليب: لتحاور الآخر المسيحي لا شك قرأت الإنجيل؟

هاني فحص: قرأته بشهر رمضان مرة هو والقرآن.

سامي كليب: الإنجيل؟

هـاني فحص: جزء من أدبياتي الدينية، هو مش قائل لي أكثر من هيك، وبعدين بكعب النص وراء –كما في كعب كل قعر كل نشاط معرفي– في مشترك. فطبعا الإنجيل نص بشري، بعض المطارح بيختلف عن أدبياتنا الإسلامية العامة.

سامي كليب: حين كان السيد هاني فحص يختم هذا الحوار بالحديث عن الانفتاح على المسيحي كان لبنان كعادته في مواسم الانتخابات يعزز الاصطفاف المذهبي والطائفي وكأننا الدعوات للحوار في بلد الطوائف المتعددة والمذاهب المتنافرة ليس أكثر من زهرة بين صخور صلبة، "لا بأس" يقول السيد هاني فحص فـ "أن تضيء شمعة أفضل من أن تلعن الظلام"، أو يقول على لسان الجواهري:

هاني فحص:

نامي جياع الشعب نامي
حرستك آلهة الطعام
نامي على زيد الوعود
يداف في عسل الكلام
نامي فإن لم تشبعي
من يقظة، فمن المنام

عن برنامج زيارة خاصة
قدمته قناة الجزيرة

آراء في السياسة والفن والدين

هاني فحص... سنبلة خير أحناها امتلاؤها

سامي الجواد

لم يكن تعبير(حبة قمح مسمومة) الذي اختاره هاني فحص، السيد العلامة،على متن هذه الصفحة في الأمس القريب، إلا تعبيرا عن خطورة الجرم الذي يرتكب يوميا في حق القضاء اللبناني ومن خلاله في حق المواطن اللبناني وفي حق الوطن في نهاية المطاف. هذا الجرم الذي لا يستحق مرتكبه أقل من جزاء على السموم التي يتسبب بها فساد القضاء وخضوعه لمعطيات السياسة.

لربما وقع السيد هاني فحص في الشبهة حين أمل للدولة ولادة وشيكة، ولربما تخطى المثال ولامس الخيال عندما بدا ضنينا على ما تبقى من قضاء وقضاة، لكن سماحته يكشف في ما صدر عنه، عن حنين فيه قديم لقيام الدولة السيدة، كما يكشف عن ميل فيه أصيل، بل عن التزام صارم بالمحافظة على القضاء كصمام أمان لاستقرار المجتمع ولحفظ كرامة الفرد فيه كما حقوقه.

لم يتحدّ السيد المئذور ذو الصداقات الواسعة محليا وإقليميا، عربيا وإسلاميا، لم يتحدّ صديقه وزير العدل بأن ينجز ما وعد به من خطوات في سبيل إصلاح القضاء لمعرفته بوجود علة ما في نفس الوزير القرطباوي، لقد كان التحدي لأن السيد هاني يعلم علم اليقين بأن الإصلاح في هذا البلد دونه خزائن يجب أن تُفضح وأياد يجب أن تقطع ودونه قبل هذه وتلك نفوس مريضة يحدوها الأنا ويدفعها الشغف في الحكم والتسلط إلى استباحة المحظورات وهتك الحرمات.

رسالة السيد هاني فحص واضحة المنطلق ونبيلة الهدف، لكنها في أن حجة عليه، ليس في مضمونها ونحن نعلم تاريخ سماحة السيد وحاضره وطيب سمعته، إنما الحجة عليه في ذلك بأن تكون خطوته متبوعة بخطوات لرفع الصوت، إلى من يهمه الأمر، بل لأول من يهمه الأمر،أعني به الشعب ومن بعده لكل من يسمع، رفع الصوت المسؤول والواعي والصادق لفضح الواقع السياسي المفسد الذي أنتج الواقع القضائي الفاسد.

صاحب السماحة، خوفك هو خوفنا، فنحن أولادك وأحفادك، وكتبك ودفاترك هي مناهل ثقافتنا الخلقية والدينية والوطنية الأصيلة، وطنك هو الوطن الذي نحلم به.

صاحب السماحة، عندما خرج سيدنا الحسين لطلب الإصلاح في أمة جده، إنما انطلق من واجبه أولا و من الواقع الذي اختبره في تلك المرحلة حيث قال: ألا ترون الحق لا يعمل به و الباطل لا يتناهى عنه.

هاني فحص، السيد العلامة، ذو الثقافة الواسعة والاطلاع الدقيق، الملم بأخبار وأحوال محيطه والمشارك في إنقاذ الواقع الثقافي، رفيق الثورة الإيرانية ورجل الحوار الأول، أنت لست حبة قمح مسمومة، نحن وإياك سيوف مسلولة في معركة إحقاق الحق.

هاني فحص، لك لقبك وصفتك، ولنا موقفك ورأيك، سنبلة خير أنت، أحناها امتلاؤها.

هاني فحص للمدى: الخلط العشوائي بين الدين والسياسة يمحقه ولا يرتقي بالسياسة

في جلسة حوارية صريحة وجريئة عقدت على هامش معرض أربيل الدولي السادس للكتاب الذي نظمته المدى بالتعاون مع وزارة الثقافة الكردستانية، شخص المفكر هاني فحص ابرز مشاكل مجتمعاتنا، من خلال تسليطه الضوء على التجربة اللبنانية كنموذج في قصور الفهم لقيم المجتمعات ذات المكونات المتعددة، ليشير الى ان العيش المشترك ضرورة يصنعها الناس.

الفعالية الثقافية التي حضرها وزير الثقافة في حكومة إقليم كردستان كاوه محمود وجمع من المثقفين والكتاب والمواطنين، استهلت بتقدمة جميلة لمشل وزارة الثقافة الكردستانية قال فيها: في هذه اللحظات تصغي وتتحاور مع هاني فحص كمرجعية فكرية مهمة له صوت مميز ينبعث من الاعماق يجمع فيه بين الجانب الفكري الفقهي والسياسي والادبي، لذا فهو صوت مسموع لانه يؤمن بالحوار ويراه ضرورة لكي نستمر ونستطيع تحريك الساكن فينا.. ثم بدأ فحص محاضرته بمباركة اقامة المعرض حيث قال: اباركم لكم هذا البستان الجميل في أربيل لما يمثله من اغناء فكري يشبه غنى أربيل بجمالها وإصرارها على النهوض والعمران. واضاف قائلاً التمس العذر منكم سلفاً لأني لم اكتب نصاً متماسكاً أقدمه في هذه المناسبة، فانا مثلكم اعيش في هذا الجو او المناخ المتوتر الذي يشدنا فعلاً الى كثير من الفرح بسقوط الباطل من دون ان يحررنا من القلق على المستقبل، خاصة وان اوجاعنا واحلامنا واحدة.

وتناول الفحص التجربة اللبنانية التي عاشها كنموذج في استخدام بعض الاطراف تعدد المكونات لتحقيق مصالحها على حساب الفقراء والمحرومين فقال: في لبنان عانينا على مدى عقود مشكلة تحول المتعدد من اتجاه التواصل الى التقابل فانفجر الوضع، مشيراً الى ان الحروب تقوم دائما بين تلاقي اسباب الداخل مع الخارج.. بين الاستعداد الداخلي والتدخل الخارجي، فبعض الحروب في لبنان كان لابد من اطالتها وزيادة بشاعتها، فلم تجد اي من الاطراف افضل من التعبئة الدينية وشعاراتها وزيادة شراستها، واستطاعوا على مدى عقود ان يخفوا وان يبعدوا عن وعي الناس اسباب الحرب التي نستطيع ان نسميها اهلية.

وشدد على ان الذي حصل ان الذين خسروا هم الفقراء والمحرومون من كل الطوائف والذين ربحوا هم اطراف متناقضة ظاهراً متفقة اصلا ومن كل الطوائف ايضاً. وخلال فترة الحرب استخدم على مستوى دولي مصطلح اللبننة اي تفكيك الموحد وتصعيد الخلاف ورفعه الى مستوى الصراع.

وعرج المفكر هاني فحص على اتفاق الطائف والتسوية التي نتجت عنه، مستنتجاً ان كل ثنائية تختلف اطرافها، لكن لابد من ان تحصل تسويات لانها اذا لم تحصل فالنتيجة مزيد من الخرائب فالتنازلات العادلة تقلل الخسائر. ويضيف مع الطائف تصدت مجموعة من اللبنانيين الى تسييل هذا الاتفاق اجتماعياً وثقافياً. وشدد على ان لبنان ملزم كما قدم نموذجاً في الاشتباك في الحرب والصراع بين المتعدد، ملزم ان يقدم عنواناً آخر في اللبننة وكيف يلتئم المختلف ويرجع الى العيش المشترك وصولاً الى بناء الدولة المدنية، فاذا انفجر الصراع بين المتعدد فعودته الى وحدته اسهل من الواحد اذا انكسر، لذا فبتقديري ان مستقبل لبنان يبقى اسهل من مستقبل ليبيا واسهل من الجزائر ومن الصومال، فنحن في لبنان حتى اثناء الحرب لم ننقطع عن الحوار، فالقومي والديني ليسا ضمانة، اقول هذا الكلام رغم ان المشهد اللبناني خطير حالياً. لكن النتيجة ان العيش المشترك يصنعه الناس فهو ارادة الحياة وشرطها، عندما يكتشفون ان الاخر شرط للذات، فانا لايمكن ان اعرف نفسي اذا لم يكن الاخر في وعيه، وعندما نكون متماثلين تكون الصورة نمطية ويصبح الفكر سطحيا، فالحوار والعيش المشترك ان افكك هذه الصورة النمطية في نفسي وعند الآخر.

وبعد عرضه لنماذج عن خطر عدم قبول الاخر خلص الى ان الخلط العشوائي بين الدين والسياسة يمحق الدين ويعيله ولا يرتقي بالسياسة، فالدين والسياسة حقلان معرفيان تختلف إلياتهما في تحصيل المعرفة والوصول اليها. وقال متسائلا لماذا العلمانيون العرب جعلونا نخاف العلمانية هم على خطأ وكذلك نحن، فالدين حارس نظام القيم وهو ضرورة، لكنه اذا انتج الدولة خربها والعكس صحيح أيضاً، الان في لبنان الانقسام السياسي نزل الى مستوى آخر اجتماعي وبدأنا نسمع شعرا مسيحيا وشعرا مسلما رواية مسيحية ورواية مسلمة رغم ان اصحابها ليس لهم علاقة بذلك ووصل الامر حتى لرياض الاطفال.

ثم عرج فحص على الوضع في العراق مشيراً الى انه رغم اختلاف الظروف ومع تبشيره بان يكون العراق نموذجا، فانه خائف الان عليه، وقال ان خسارتنا ستكون مضاعفة اذا لم ينهض العراق ولن ينهض اذا لم ينهض بكل مافيه. وقال ارجوكم كعراقيين وفي هذا الجو الملبد ان تلحوا على صناعة النموذج العراقي التعددي.

جريدة المدى ٢٠١١

في شارع المتنبي في حفل افتتاح بيت المدى

في كتابه "ماض لايمضي"..

هاني فحص: أنا عراقي أيضاً

سعد هادي

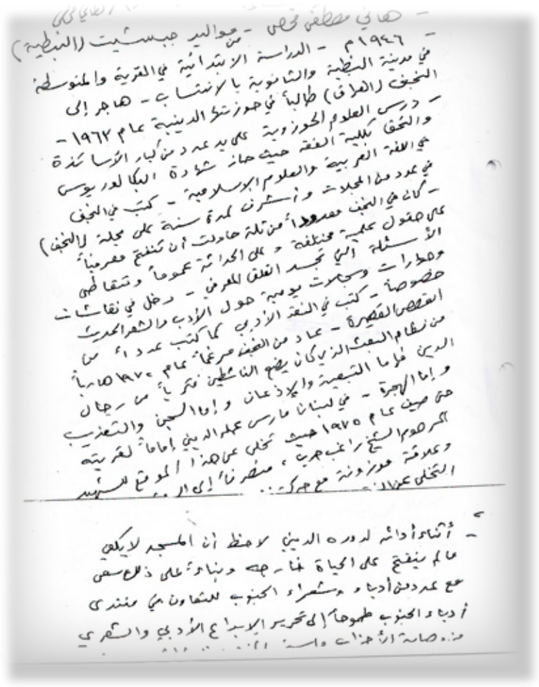

يشهر "هاني فحص" منذ الصفحات الأولى لكتابه (ماض لا يمضي- دار المدى ٢٠٠٢) مواطنيته العراقية التي لا تقل عن مواطنيته اللبنانية عمقاً ووهجاً، بل هو يجد كما يقول احتياطه الذهبي الوطني في العراق حتى لا يذهب إلى اللامكان، وعبر فصول كتبت في سنوات مختلفة يروي فحص ذكرياته في بلاد الرافدين التي بدأت عام ١٩٦٣ حين أنتقل من قرية جبشيت في جنوب لبنان مباشرة ومن دون المرور بمدينة أخرى إلى النجف ليدرس في حوزتها، إن النجف بالنسبة إليه هي كل العراق ومنها انطلق إلى حي كندة في الكوفة المجاورة حيث لعب المتنبي وظل يلعب بالتراب والدنيا وماء الفرات حتى لعب بماء الشعر، ثم يواصل رحلته إلى كربلاء وبغداد والأهوار، متذكرا وجوه أصدقائه وأساتذته:

الجواهري، السياب، مدني صالح، مصطفى جمال الدين، مظفر النواب، حسب الشيخ جعفر، معرجاً على ماضيه منذ أن كان يراهق بالكتابة في مدرسة بالنبطية، مازجاً بين الذكريات والاعترافات، مضيفاً إلى ذلك أيضاً تصويراً فريداً لنسيج العلاقات الفكرية والاجتماعية داخل الحوزة النجفية المغلقة على ذاتها والمنطوية على أسرار إعلامها، كما يقدم مراجعة لأساليب التدريس فيها تقترب من أن تكون نقداً، ولكنه نقد لا يذهب بعيداً في تطرفه، إن تلك الأساليب تعود كما يقول إلى حالة أقرب للبدائية تتيح علماً وجهلاً، بنفس السهولة أو الصعوبة من دون مانع من أن ينطلي الجهل ويلتبس بالعلم إذا ما توفرت له ظروف مؤاتية.

أما أهل التجديد في الحوزة فقد نظر إليهم دائماً كأدباء أكثر منهم علماء لأنهم تورطوا في كتابة الأصول والفقه بلغة جديدة وترتيب جديد، بينما كان السائد هو الانشغال والاشتغال على العبارة الغامضة والمدورة والاختزالية، إن ذلك يعبر عن صراع غير معلن كما يلمح بين القوى التي تتحكم في الحوزة مثلما يعبر أيضاً عن تنظيمها الاقتصادي الصارم كمؤسسة تاريخية ذات تراتبية لا سبيل إلى اختراقها، وقد جاء انتقاله هو مفاجئاً أوائل الستينيات من لبنان المهموم بآخر أسئلة الحداثة إلى الحوزة الدينية في النجف المهمومة بأول أسئلة الحداثة، النجف التي كان يطغى فيها جدال مستمر بين الصراط والواقعية، وبين ثنائيات وإشكاليات أخرى، بعضها مظهري وسلوكي وبعضها الآخر فكري، إن ما قام به طلبة العلم اللبنانيون في الحوزة مثلاً عزي إلى لبنانيتهم الحداثوية أكثر من أي شيء آخر، فبعد أشهر من التزامهم بالمدارس انتعلوا "الكندرة" محتملين نقداً خفيفاً ودون خوف من أن يؤدي ذلك إلى حجب رواتبهم الضئيلة بعد تفسيقهم، ولم تمر سنة حتى تجرؤا على وضع الساعة في معاصمهم، مع الحرص على إخفائها في بعض المجالس، ثم ضرب البعض منهم ضربته الكبرى فارتدى البنطال تحت الجبة، ولكنهم تأخروا في تجربة ارتداء القميص الملون، وبعد ذلك بزمن جربوا ارتداء القميص بالياقة الحديثة، ومن خلال ذلك بدؤوا بالتسرب إلى حيز أعقد في إشكاليته بقراءة المجلات العربية الأسبوعية، ثم الانتقال إلى الدوريات الأدبية والفكرية:

الآداب والفكر المعاصر والكاتب والهلال ثم الطريق والطليعة، ويضيف فحص: كنا قد امتلأنا بهموم الحداثة شعراً وراوية ومسرحاً ونقداً، ولم يكن بدعاً أن يجري في مجالسنا حديث عن الدادائية والسريالية... كان هناك إقرار بجديتنا وطرافتنا وخطورتنا، ولأن المحدد الأول والرئيس للنجف هو العلم والثقافة فإننا لم نقرب السياسة إلا لماماً، إلى أن كانت النكسة ففجعنا، لندخل في جدل ثقافة النكسة وثقافة النهوض. ويروي فحص أنه مع بدء العمليات الفدائية وسماع الشيفرات في الإذاعة صار حلمه أن يخوض عمليات عسكرية فدائية يخطط لها بسرية تامة لتدمير العدو في لحظة واحدة، كانت الأهداف تتغير كما يقول بحسب تصوره الساذج لمركزية الهدف أو بحسب مزاجه:

من الكنيست إلى مجلس الوزراء العبري إلى الهستدروت إلى المفاعل النووي في "ديمونة" وعليّ وعلى أعدائي يا رب، كان يحلم أيضا بأن يتحول إلى صاروخ خرافي، مشيراً إلى أن ذلك ربما ترسخ لديه من الحالة الكوسموبوليتية التي انتقلت عدواها إليه ممن عاشر من القوى القومية والإسلامية والأممية، ولاحقاً تحولت تلك الأحلام بسبب التطورات السياسية إلى كوابيس متصلة، اضطرته إلى أن يهرب ثانية إلى القرآن والشعر والتاريخ والحوار اليومي والجدل المتوتر ورفع منسوب الوعي السياسي الذي كان يفتقر إليه، مؤكدا أن ما تعاطاه لم يغتن منه أو به كثيرا على عكس ما سجله بعض الإطلاقيين من خطباء الإسلام السياسي "كما يصفهم" عليه، من إنه ذهب إلى النجف على خلفيات سياسية قومية واشتراكية. وحين عاد إلى لبنان عام ١٩٧٢ بدت الإقامة الطويلة في الأحلام أمراً مضنياً فدخل في مشروع أدبي ثقافي ثم انخرط في المقاومة وفي الجدل اليومي بين الفعل المحرر والوجع المبرح، وظل أيضا مدمن أحلام، ولكنه حول حلمه إلى اتجاه آخر، تنموي نهضوي تربوي شامل، وبدأ يقضي ساعة أو ساعتين قبل النوم غارقاً في شؤون بستانه المرتجى الذي اختار له أرضا في "الوطى" بين قريته وقرى أخرى، ولكنه بعد أن فشل ذلك الحلم بسبب تردي الحالة السياسية في لبنان انتقل إلى حلم أكثر تواضعا وخصوصية، يكتفي فيه ببيت في مساحة "دونم" واحد على مرتفع من مرتفعات ضيعتهم، ولكن في إحدى لحظات استعادته لذلك الحلم اقتحمت زوجته عليه المكان والزمان والحال لتطالبه بمبلغ من المال، وتتوالى ذكريات هاني فحص بين النجف ولبنان، كما تتوالى اعترافاته وتلميحاته الإنتقادية وردوده على منتقديه، هو الذي لا يتقن حتى الآن كما يقول تثبيت عباءته على كتفه ولم يتعود تمشيط لحيته ولا يحسن لف عمامته ولا إصلاحها، مازالت ذاكرته ترهقه بقوتها وقد حرمته من كثير من النوم الضروري لصحة الروح والعقل والوطن والأمة والجسد

manarat

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

نائب رئيس التحرير
عدنان حسين

مدير التحرير
علي حسين

الاخراج الفني
ديار خالد

التصحيح اللغوي
محمد حنون

طبعت بمطابع مؤسسة المدى
للاعلام والثقافة والفنون

شجرة أرز في العراق

علي حسين

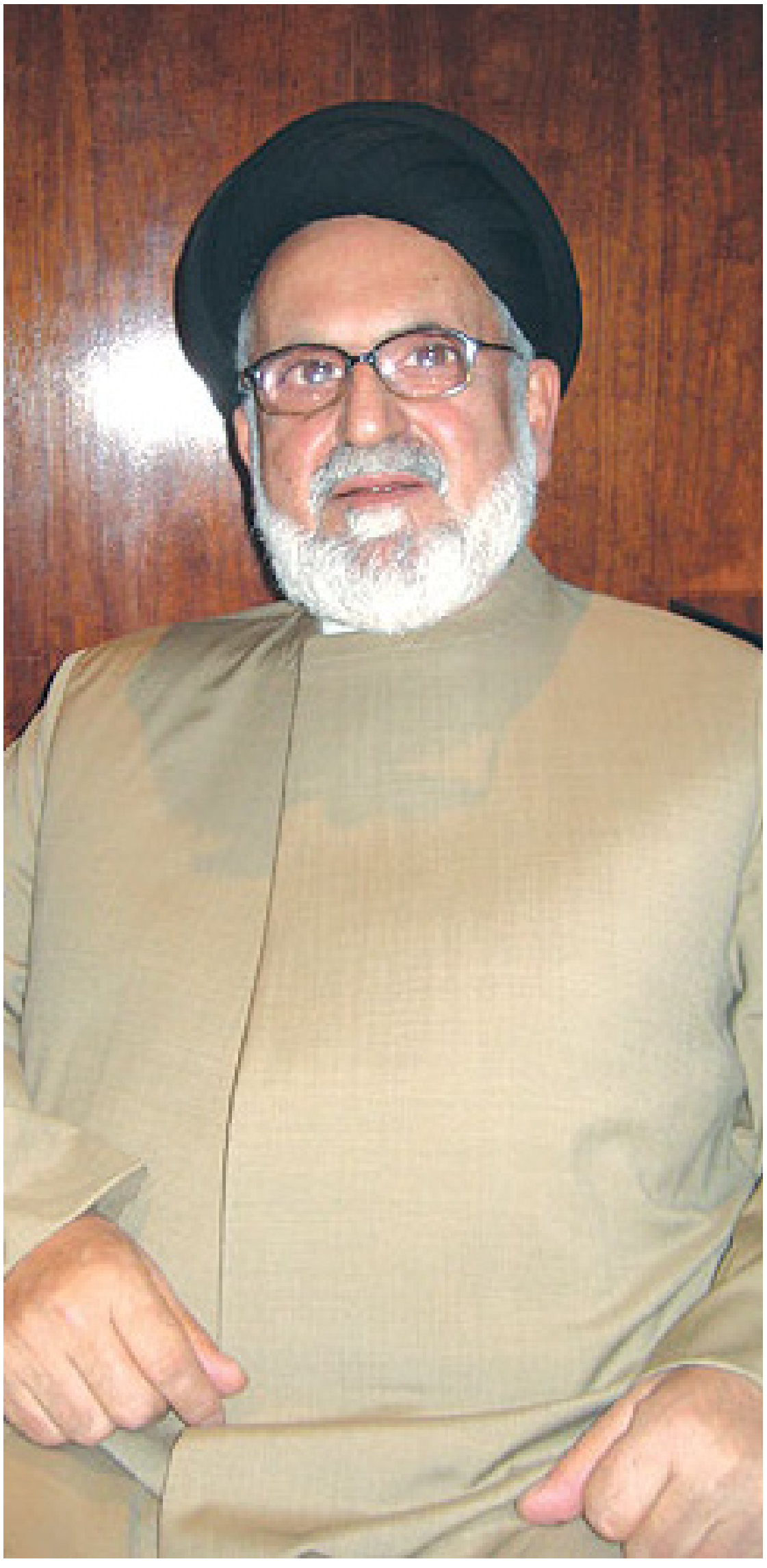

اعترف بأنني خسرت كثيرا حين لم التفت منذ البداية لكتاب هاني فحص " ماض لا يمضي " الصادر عن دار المدى وهو الكتاب الذي يروي فيه ذكرياته في العراق والتي بدات عام ١٩٦٣ حين انتقل من قريته في جنوب لبنان إلى النجف ليدرس في حوزتها.، ثم ينطلق الى الكوفة ويواصل رحلته إلى كربلاء وبغداد ومدن العراق الأخرى، متذكّرا وجوها احبها وعاشرها، وكانت بالنسبة الية اكثر من صديق وأستاذ، الجواهري، السيّاب، مدني صالح، مصطفى جمال الدين، مظفّر النواب، حسب الشيخ جعفر.

التقيت هاني فحص في مناسبة جمعنا فيها الأستاذ فخري كريم وكان كما توقعته مرهفا كالنصل، لا يعرف المناورة، ممتلئا بالهم الإنساني، عاشقا للعراق الذي لم يفارق وجدانه لحظة واحدة، مسكونا بالحياة والعدالة الاجتماعية، ظل يتحدث عن الواقع العراقي بحماسة لن أنساها، كما لو كان يتحدث عن حبيب له اوبشارة يزفها للناس، حتى لكانك تحس بان الرجل شجرة ارز زرعت في العراق،وكنت أتطلع الى ملامحه الهادئة وهو يتحدث مسترجعا كتاباته عن العراق الجديد الذي يحلم به، كما لو كانت كلماته تكشف لي عن ابعاد جديدة لهذه الكتابات التي ظلت تدافع عن الانسان ضد سلطة الإرهاب والقمع، وبقدر ما كانت هذه الكلمات تجسد لي صورة المثقف الذي نحتاج اليه، كان صوته يحمل الكثير من ملامح المثقف الملتزم والتي جسدها في كتابه " ماض لا يمضي " وفي مقالاته التي ينشرها بين الحين والاخر، المثقّف الذي امن بان العقل خير وسيلة لانقاذ الانسان من الظلم، وان الله عادل لا يقبل بعبادة الذل والفقر، وان هزيمة الشعوب لا تأتي الامن جور حكامها وتخاذل مثقفيها الذين تلهيهم ورطات الدنيا فلا تمسهم معاناة الناس، ظلت الكتابة ولا تزال صليب هاني فحص الذي يحمله اينما حل، فهي رؤياه التي أتاحت له سفراً دائماً نحو الحرية، وأتاحت لقرائه معرفة خفايا هذا العالم الذي اغلقوا ابوابه على أنفسهم كي لا يخرجوا الى ساحة الممارسة الحرة لجسارة العقل الاجتماعي والسياسي والفكري.

في أسلوب عذب مثل مياه الجداول يقدم لنا هاني فحص في كتابه " ماض لا يمضي " سيرة لها عبق من التاريخ مازجاً، فيها بين الذكريات والاعترافات.مقدما للقارئ تصويراً فريداً لنسيج العلاقات الفكرية والاجتماعية داخل مجتمع الحوزة النجفية، باعتباره مؤسّسة تاريخية ذات تراتبية لا سبيل إلى اختراقها. لكنه يقدم لنا صورة لما قام به طلبة الحوزة من اللبنانيين، وفي صفحات مليئة بالحنين يتذكر كيف ان هؤلاء الطلبة تجرؤا على وضع الساعة في معاصمهم، مع الحرص على إخفائها في بعض المجالس، ثم ضرب بعضهم ضربته الكبرى فارتدى البنطال تحت الجبة. ومن خلال ذلك، بدأوا بالتسرّب إلى حيّز أعقد في إشكاليته بقراءة المجلات العربية الأسبوعية، ثم الانتقال إلى الدوريات الأدبية والفكرية و"الفكر المعاصر" و"الهلال" ثم "الطريق" و"الطليعة". ويضيف فحص: " كنّا امتلأنا بهموم الحداثة شعراً وراوية ومسرحاً ونقداً، ولم يكن بدعاً أن يجري في مجالسنا حديث عن الدادائية والسريالية... كان هناك إقرار بجدّيتنا وطرافتنا وخطورتنا. ولأنّ المحدد الأول والرئيس للنجف هو العلم والثقافة، فإنّنا لم نقرب السياسة إلا لماماً، إلى أن كانت النكسة ففجعنا، لندخل في جدل ثقافة النكسة وثقافة النهوض".

يؤمن هاني فحص بالانفتاح الفكري على العالم المتقدم والتفاعل الخلاق مع عوامل تقدمه، مع صيانة الحرية الفكرية واشاعة ثقافة الاستنارة المدنية المعتمدة على العقل والعلم وحرية الابداع في كل مجالاته و هو يقدم لنا مثالا للمفكر الاصيل خصوصا في احترامه لحق الاختلاف وتشجيع محاوريه ومريديه على ان يختلفوا معه، والمفارقة الدالة حقا في حياة هاني فحص رجل الدين الذي لا يتقن حتى الآن، كما يقول، تثبيت عباءته على كتفيه، ولم يعتد تمشيط لحيته، ولا يحسن لف عمامته ولا إصلاحها، هي علاقته بقوى اليسار وتعاطفه مع مناهج الكتابة اليسارية، والمؤكد ان ليبراليته والذهن المتحرر الذي تنطوي عليه كتاباته كانت ولاتزال هي الاصل وراء سماحته العقليه، وهي التي اعطتنا كاتبا لا يتردد في تسليط الضوء على كل بقع الظلام.